رسالة
إلى المجندي العربي

عن كتاب

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير

للإمام ابن سيّد الناس

قام بتحقيق المغازي وتوضيح أصولها وخرائطها
وشرح أحداثها من وجهة النظر الحربية الحديثة
السيد شرح

obeikandl.com

رسالة
إلى السيد العربي

السيد فرج

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٥٩

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإنّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيارِهِم بِغيرِ حَقٍّ إلّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومساجدُ يُذْكَرُ فِيها اسمُ اللهِ كثيراً ولَيَنصُرَنّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنّ اللهَ لَقَوِيٌّ عزيزٌ .

« ٣٨ ، ٣٩ م سورة الحج ٢٢ »

وَأَعِدُّوا لَهُم مّا اسْتَطَعتُم من قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم وآخرينَ من دُونِهِم لا تعلمونَهم اللهُ يَعْلَمُهُمْ وما تُنْفِقُوا من شيءٍ فى سبيلِ اللهِ يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمُونَ . وإن جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وتوكّلْ على اللهِ إنَّهُ هُو السميعُ العَليمُ .

« ٦٠ ، ٦١ م سورة الأنفال ٨ »

obeikandl.com

فكرة الكتاب

التقيت بهذا الأثر النفيس « عيون الأثر » بين ضفتى مجلدات مخطوطة فى مكتبة المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة ، وقد وسم بعنوان :

« عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير
للإمام العلامة ابن سيد الناس «٦٧١ — ٧٣٤ هـ »

« بالبحث والتقصى وقفت على نسخ أخرى ليس بينها خلاف يذكر .

وقد أمضيت أياما عديدة مع ابن سيد الناس فى كتابه هذا بين عشرات من كتب التاريخ والسير فألفيته نثرها جميعا أمام ناظريه واستعرض خططها ومناهجها ، ثم أعمل فكره وشحذ عزيمته واستعان بملكاته ومواهبه واستطاع أن يضع سيرته هذه الجليلة ، فتقف وسطا بين المختصرات والمطولات ، لا يشتكى منها قصر ولا طول .

ولفت نظرى بصفة خاصة عناية هذه السيرة بموضوع المغازى فقد انتظمت جميع الطلعات والمعارك منذ أن أذن الله لنبيه صلى الله

عليه وسلم فى القتال ، وقد رتبت ونظمت بطريقة موفقة وصيغت وقدمت بأسلوب يغلب عليه التروى والاعتدال .

* * *

تلقّى نبىّ الاسلام صلوات الله عليه أمر ربّه ليدعو الناس كافة الى دين الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقوبلت الدعوة بالصد والعدوان الا من أضاء الله بصيرته وشرح صدره للاسلام . وقد تعرض المؤمنون للظلم والطغيان فحوربوا فى أهليهم وأقواتهم وأخرجوا من ديارهم ، فأذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير .

ومن هنا بدأت سلسلة من أحداث الجهاد وعمليات القتال بين المؤمنين والمشركين تتنوع ساحاتها وتختلف صورها وتتطور خططها . ويميل ميزانها مع هذا الفريق مرة ومع الفريق الآخر مرة أخرى حتى كتب الله لعباده النصر المؤزر والفتح المبين .

وما كانت المغازى كلها موفورة النجاح مكللة بالنصر بل منى بعضها بالخسران . ولقى المجاهدون الهزيمة فى أكثر من معترك وتحملوا مشاق الحرب ومرارة الحصار وآلام الجوع والعطش ، وتعرض رسول الله (ص) للرمى والطعن وسال دمه الطاهر .

ولكن هذه المغازى كانت تتسم بدقة التنظيم وتتميز بسلامة

التخطيط فلم تكن مرتجلة أو تلقائية تسيرها الظروف والأحداث المختلفة . وانما سارت منذ بدايتها على أصول معقولة واعتبارات مدروسة ، ومع مضى الأيام وتعـدد الساحات وتطور الأساليب وازدياد عدد الجنود واتساع دائرة القتال كانت أدمغة القادة تعمل وتجاربهم تنضج وحاستهم الحربية تزدهر ، فظهر كثير من المبادىء التى لا مفر من التزامها لبلوغ النصر ، كما رسخت آداب ونظم فى داخلية الجيوش صارت بمثابة تقاليد لامندوحة عن اتباعها والتشدد فيها لكى يكتمل نظام الجيش ويسلم كيانه وتصلح أدواته .

واليوم ، فى جميع عواصم العالم تدرس الكليات العسكرية التاريخ الحربى ومبادىء الحرب ، كما تقدم أيضا دراسات متطورة فى التنظيم والتسليح والتوجيه المعنوى ، ولا ريب أن الجانب المتصل بالأهل والوطن من هذه الدراسات يحظى بالجانب الأكبر من العناية . فالتاريخ الحربى لكل بلد هو مادة أساسية فى معارف أبنائه ، ودراسة أصيلة يتلقاها رجال الجنـدية حتى ترسخ فى أعماقهم تجارب الماضى وأمجاد السلف .

ومن تجارب ماضينا وأمجاد سلفنا هذه السيرة الجليلة ، وهى تحدث بما كان عليه جنود الاسلام من ايمـان بدينهم ورسالتهم وأهدافهم ، وما كان لهم فى الحرب من مزايا وصفات مكنت لهم من أعنة القتال وألوية النصر . فالعرب كانوا يعملون فى الحرب بمبادىء

ونظم ومثل . فابتدعوا الخطط وابتكروا الأساليب ومارسوا « أصول الحرب » قبل أن يتصيدها نابليون بمئات السنين ، ووضعوا نظم الجيوش الداخلية وآداب الجندية ، كما ضربوا فى الاقتداء والبسالة والتضحية أروع الأمثال .

* * *

ولكى نقدم أمثلة للموضوعات المختلفة — مما سيطلع عليه القارىء مفصلا فى هذا الكتاب — نأخذ — على سبيل المثال — مبدأ من مبادىء الحرب ، وهو « الوقاية » : تحدثنا المغازى أن العرب كانت تدفع طليعة أمام الجيش ، هى العيون التى تتصيد أخبار العدو وتكشف خططه وتحمى القوة الرئيسية من المفاجأة ، وهذا أحد المبادىء الرئيسية الثمانية التى تدرسها المعاهد العسكرية اليوم .

وفى اختيار الوقت الملائم للعمليات تحدثنا المغازى أن العرب كانوا يمارسون « العمليات الليلية » ، وكان رسول الله (ص) يقول: « وادرعوا الليل فانه أخفى للويل » فكانت بعض السرايا تكمن النهار وتسير الليل ، وذلك تفاديا لحرارة الجو ، ووقاية من نظر العدو فضلا عن أن ذلك التحرك الليلى يمهد لمفاجأة العدو حين يقع عليه الهجوم بغتة وعلى حين غرة .. واليوم تهتم الجيوش بالتدريب على العمليات الليلية .

وفى آداب الجندية تحدثنا المغازى عن الأسلوب الذى يجمع بين الاقدام والشجاعة فى حديث القادة مع نبيهم وقائدهم الأعلى ، وعن أسلوب القائد مع صحابته حين يبسط أمامهم الموضوعات ويشاورهم فى الأمر ، وعن صدوع الجندى بالأمر فى الحال ولو كلفه حياته ، وعن احترام سلسلة القيـــادة حتى لا يكون تردد أو التـــواء .

* * *

وهكذا لا نكاد نحيط بشأن هام من شئون الحرب الحديثة الا وجدنا له أصلا فى تاريخنا العربى الحافل ، ولا نكاد نستعرض صفات ومزايا القادة العظام حتى نلقاها أصيلة مستوفاة فى عدد من قادة الاسلام كخالد بن الوليد وأبى عبيدة وعمرو بن العاص ؛ ولا نكاد نلتقى بموضوع من موضوعات التنظيم الداخلى للجيوش والمعسكرات وشئون « الضبط والربط » الا وجدنا له سابقة فى سيرة هؤلاء النفر الغر اليامين الذين خرجوا من دائرة صغيرة فى البادية الكبيرة وسرعان ما التأم جمعهم وانتظم صفهم وجد خطوهم الى أرض فارس فأدالوا دولة الأكاسرة . والى أرض الروم فقهروا دولة القياصرة ، وسيطروا على ميادين المعارك فى زمانهم ، ورفعوا راية العروبة والاسلام من الخليج الى المحيط .

* * *

ان هذه الصفحات المجيدة التى خطتها سيوف العرب وأهدتها الى الأجيال جديرة بأن نحتفل بها ونقبل عليها ونعتز بملكيتها ونضعها نصب أعيننا ، وما هذه الدراسة — كما أرجو — الا فاتحة للموضوع الكبير الذى نرتقب أن تتحرك له الأفهام وتنشط من أجله العزائم وتوضع لتحقيقه البرامج لكافة المستويات ، فيُبعث هذا التراث الغالى ويقدم الى شباب الاسلام والعروبة يقتاتون منه ويتمثلون به ، ويجدون أن لهم عزوة وأن وراءهم أمجادا .

* * *

ان هذا الجيل الذى يشهد انبعاثة القومية العربية من المحيط الى الخليج سوف يصل ماضيه بحاضره ، ويضاعف خطواته فى ركب الزحف المقدس الى الحرية والعزة والكرامة .

ولله در شوقى الذى وجه لشباب العروبة قوله المأثور :

حب السيادة فى شمائل دينكم والجد روح منه والاقدام

لو تقرئون سفاركم تاريخه عرف البنون المجد كيف يرام

السيد فرج

هـذا الكتـاب

هذا الكتاب من أمهات كتب السير ، ألفه أحد أعلام المعارف والبيان الامام «فتح الدين أبو الفتح المشهور بابن سيد الناس[1]» ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ وتوفى فى سنة ٧٣٤ هـ وكان من الثقاة الضالعين فى الفقه والحديث وعلم السير والتاريخ ، أخذ العلم عن

---

(١) قال عنه السيوطى فى « ذيل طبقات الحفاظ للذهبى » : الامام العلامة المحدث الحافظ الأديب البارع ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن سيد الناس ابن أبى الوليد بن منذر بن عبدالجبار بن سليمان اليعمرى الاندلسى الأصل المصرى . ولد فى ذى القعدة سنة احدى وسبعين وستمائة . وسمع من غازى والعز وخلائق نحو الألف . ولازم ابن دقيق العيد وتخرج عليه وأعاد عنده وكان يحبه ويثنى عليه ، وأخذ العربية عن البهاء بن النحاس وكتب الخط المغربى والمصرى فاتقنهما . وكان أحد الاعلام الحفاظ اماما فى الحديث ناقدا فى الفن خبيرا بالرجال والعلل والأسانيد عالما بالصحيح والسقيم له حظ من العربية ، حسن التصنيف صحيح العقيدة أديبا شاعرا بارعا متفننا فى البلاغة ناظما ناثرا مترسلا . ولى درس الحديث بالظاهرية وغيرها . وصنف السيرة الكبرى والصغرى وشرح الترمذى لم يكمله فاتمه الحافظ ابو الفضل العراقى . مات فى شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ولم يخلف فى مجموعه مثله .

والده وتتلمذ على كثيرين من علماء زمانه وظهرت له مؤلفات عديدة امتازت بدقة الوصف وجودة الصياغة وحسن التعبير ، وكان حافظا عجيبا وراوية بارعا وشاعرا أديبا .

قال المؤلف فى تقديم كتابه :

« لما وقفت على ما جمعه الناس قديما وحديثا من المجاميع[1] فى سير النبى (ص) ومغازيه وأيامه الى غير ذلك مما يتصل به لم

---

(١) انشا المؤلف فصلا عن الأسانيد التى رجع اليها فى تاليفه ، تحت عنوان :

« ذكر الاسانيد التى وقعت لى مع المصنفين
الذين اخرجت من كتبهم فى هذا المجموع ما أخرجته »

صحيح البخارى ـ صحيح مسلم ـ سنن أبى داود ـ الجامع لابى عيسى الترمذى ـ سنن أبى عبد الرحمن النسائى ـ سنن ابن ماجه ـ السيرة النبوية : عن ابى اسحق ـ المغازى : عن موسى بن عقبه ـ المغازى : عن أبى عبدالله محمد بن عائذ القرشى الكاتب ـ الطبقات الكبير عن محمد بن سعد .

وعن أبى القاسم سليمان بن أحمد « الطبرانى » ـ عن أبى يعلى الموصلى ـ وعن أبى بكر الشافعى (الفوائد المعروفة بالغيلانيات) وعن أبى عروبة الحسين بن ابى معشر الحرانى ـ وعن أبى الحسين ابن جميع الغسانى وعن أبى عمر (كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير) .

وعن أبى محمد عبد الله بن على الرشاطى من كتابه فى (الانساب) وعن القاضى عياض فى كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى « ص ») وعن أبى القاسم السهيلى (الروض الأنف) .

أر الا مطيلا مملا أو مقصرا بأكثر المقاصد مخلا ، والمطيل اما معتن بالأسماء والأنساب والأشعار والآداب أو آخر يأخذ كل مأخذ فى جميع الطرق والروايات ؛ ويصرف الى ذلك ما تصل اليه القدرة من العنايات . والمقصر لا يعدو المنهج الواحد ومع ذلك فلابد وأن يترك كثيرا مما فيه من الفوائد وان كانوا رحمهم الله هم القدوة فى ذلك . ومما جعوه يستمد من أراد ما هنالك . فليس لى فى هذا المجموع الا حسن الاختيار من كلامهم والتبرك بالدخول فى نظامهم » .

كتاب عيون
والشمائل والسير
تاليف الشيخ الامام الحافظ المتقن
ابن محمد بن ابراهيم بن عبد الله
العمري الربعي رحمه الله

obeikandl.com

أصل المخطوط

على الصفحة المقابلة أصل الصفحة الأولى من المخطوط المحفوظ بدار الكتب بالقاهرة وعمره الآن ٥٥٧ سنة ويبدو الخط جميلا والورق مصقولا برغم ما أحدثته يد الزمن فمسحت على كثير من الحروف وأحدثت عدة ثغرات تعبت فيها جهود الاخصائيين فى الترميم .

وقد جاء بأعلى الصحيفة :

« كتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير . سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف الشيخ الامام الحافظ المتقن البارع العلامة محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بابن سيد الناس اليعمرى الربعى رحمه الله ورضى عنه » .

وفى أسفل الصفحة ختم وقف تيمور الذى انتهى اليه هذا المخطوط قبل أن ينتقل مع مقتنيات مكتبة تيمور الى دار الكتب بالقاهرة .

وعلى الصفحة أيضا تعليقات كتبها بعض القراء أو المراجعين فى أعوام ١١٥٧ و ١٢٥٤ .

الفتاني فمن مؤلفه وقد قرأته على الشيخ ابي حفص عمر بن عبد المنعم بن غدير القواس بجزيرة ابن طاهر دمشق
بخطها اخبرني القاضي ابو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني حضورا في الرابعة سنة تسع وستمايه قال
انبانا الامام الاسلام ابو الحسن علي بن الامام ابي محمد السلمي انا الحسين بن احمد بن طلاب الخطيب عنه وما كان فيه
عن ابي عمر فمن كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير له وهو ما رويته عن والدي رحمه الله عن شيخه
ابي الحسين محمد بن احمد بن الفراج عن خاله ابي بكر بن خير عن ابي الحجاج الشنتمري عن ابي علي الغساني عنه وما كان فيه
عن ابي محمد عبد الله بن علي الرشاطي فمن كتابه في الانساب وابانه والدي عن ابي الحسين بن السراج اجازة قال
انا ابو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الجهني اجازة ان لم يكن سماعا قال انا الرشاطي قراءة عليه
وما كان فيه عن القاضي ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي فمن كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد سمعته كاملا بقراءة والدي رحمه عليه عن القاضي الامام علم الدين ابي الحسن محمد
ابن الشيخ الامام جمال الدين ابي علي الحسين بن عتيق بن رشيق في سنة سبع وسبعين وستمايه قال انا
الامام ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني سماعا عليه سنة تسع وستمايه قال انا الامام ابو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي اجازة انا القاضي عياض سماعا وما كان فيه عن الاستاذ ابي القاسم السهيلي
فمن روايتي عن والدي رحمه قال انا الشيخ الزاهد ابو الحسين محمد بن احمد بن السراج اجازة ان لم يكن
سماعا وقد سمع عليه الكثير بقراءة والدي قال قرئ كتاب الروض الانف والمشرع الروي على ابي القاسم
عبد الرحمن بن ابي الحسن الخثعمي السهيلي مصنفه من اوله الى آخره مرتين وانا اسمع ومن كتابه هذا اثبت
ما اثبت عندنا وما اثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الاخبار السابقة لها وما انتقلت
عليه من الغريب من فوائد الفيتها بخط جدي ابي بكر محمد بن احمد عليها عن شيخه الاستاذ ابي علي
ابن محمد الازدي ابن شاكر بين عبد قراءته البسيرة العصامية عليه واثبتها في طرر كتابه رحم الله
جميعهم ونفعنا بما يسر لنا من ذلك وكرمه ولله الحمد والصلاة على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه اجمعين

• آخر كتاب السير النبويه على صاحبها افضل الصلاه والسلام وكان الفراغ من كتابتها •

• يوم الجمعه ضحى عاشر جمادى الاخر سنة احدى وعشرين وثمان مايه •

• على يد الفقير الى عفو الله تعالى وغفرانه حسين بن شبل بن ابراهيم •

• ابن علي بن حسن الشافعي عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه •

• وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين امين •

• وحسبنا الله ونعم الوكيل •

أصل الصفحة الأخيرة

السطور الأخيرة فى المخطوط جاء فيها :

آخر كتاب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة ضحى عاشر جماد الآخر سنة احدى وعشرين وثمانى ماية على يد الفقير الى عفو الله تعالى وغفرانه حسين بن شبل بن ابراهيم بن على بن حسن الشافعى عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وفى آخر صفحة بيان بخط العلامة المحقق ابراهيم بن محمد ابن خليل الشهير بسبط ابن العجمى وبالبرهان الحلبى الشرفى سنة ٨٤١ (تاريخ سنة ٨٢٥) تفيد قراءة كاتبها حسين بن شبل المذكور لها عليه قراءة صحيحة وانه أجازه بها وبسائر ما يجوز له روايته وذكر سنده فى رواية هذه السيرة الى مؤلفها .

جماع أبواب مغازي رسول الله (ص) وبعوثه وسراياه

لما أذن الله عزّ وجل لنبيه في القتال كانت أول آية نزلت في ذلك (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز [1]) .

(١) المفردات : صوامع = معابد الرهبان . ج صومعة وهي بناء مرتفع محدود الأطراف .

بيع = كنائس النصارى . ج بيعة .

صلوات = كنائس اليهود .

المعنى : ان الله تعالى رخص بالقتال للمؤمنين بعد أن اعتدى المشركون عليهم . فالظلم قد حاق بالمؤمنين وان الله قدير على نصرهم . انهم اخرجوا من ديارهم بلا موجب ولا ذنب سوى أنهم يؤمنون بالله ولا يشركون به احدا . ولولا أن الله جلت حكمته يدفع المشركين بالمؤمنين — بالاذن لهم في الجهاد — لهدمت في زمن موسى المعابد وفي زمن عيسى البيع وفي زمن محمد المساجد . وقد آلى الله لينصرن من ينصر دينه ان الله لقوى على نصر المؤمنين .

ذكر الخبر عن عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه

كان عدد مغازى[1] رسول الله (ص) التى غزا بنفسه سبعا وعشرين . وكانت سراياه التى بعث فيها سبعا وأربعين سرية وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات : بدر القتال — أحد —

(١) الاسلام دين سلام .

بعث الله رسوله (ص) الى الناس كافة يدعوهم لعبادة الله ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخرج بهم من الظلمات الى النور . ولم يقل له جل شانه ادخل الناس فى دين الله بالقوة أو ادفعهم بحد السيف أو ابعث اليهم الجيوش لتهزمهم وتخضعهم وانما قال له :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (١٢٥ ك النحل ١٦) .

وعندما تلقى رسول الله (ص) الوحى وحمل الرسالة بشر بها المقربين اليه واستمرت الدعوة فى السر ثلاث سنوات حتى أمر الله رسوله أن يظهرها : « وانذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » (٢١٤ — ٢١٦ ك الشعراء ٢٦) .

والى هنا لم يكن بين الاسلام والحرب أية صلة أو ارتباط ولم يكن فى مضمون الرسالة أو تفاصيلها التجاء الى القوة والضغط =

المريسيع — الخندق — قريظة — خيبر — فتح مكة — حنين — والطائف .

= والسيف « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (الآية ٢٥٦ م البقرة) .

وقوبلت دعوة محمد (ص) من قريش بالصد والعدوان ، وتعرض المسلمون للظلم والتعذيب والاهانة حتى هاجر بعضهم الى الحبشة فرارا بدينهم ، ثم هاجر النبى وصحبه الى يثرب فلم يقابل العدوان بمثله وانما كان يطلب الهدى لقومه وهم يشتدون فى ايذاء المسلمين ، ولم يلجأ الى القوة داعيا ولم يلجأ اليها مدافعا حتى انهم فى يثرب ناشدوه أن يسمح لهم بالرد على العدوان ، قالوا :

« والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا » فقال عليه الصلاة والسلام : « لم نؤمر بذلك » .

وفى المدينة هدأ البال وانتظم الصف وانتشرت الدعوة وأصبح المسلمون قوة ، وكان المرتقب أن يثأر المسلمون من قريش وأن يشنوا عليها العدوان ، ولكن رسول الله (ص) كان معرضا عن الانتقام بشيرا بالسلام . الا أن قريشا استمرت على عدوانها وتوسعت فى تأليب العرب على الدعوة واشتدت فى ايذاء المسلمين ، فأذن الله للمؤمنين فى قتال الذين يقاتلونهم ويظلمونهم ، فالمسلمون لم يلجأوا الى السيف الا للدفاع عن انفسهم ورد الأذى عن حياضهم ولم يدخلوا الحرب الا اضطرارا ولم يعمدوا الى القوة الا ردا على العدوان أو دفعا للطغيان .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين (١٩٠ م البقرة ٢) .

وهذه السرايا والبعوث التى شرع رسول الله (ص) فى ارسالها بعد عودته من مهاجره لم يكن المقصود بها أن تقاتل المشركين =

وفى بعض رواياتهم أنه قاتل فى بنى النضير ولكن الله جعلها له نفلا خاصة وقاتل فى غزاة وادى القرى منصرفه من خيبر وقتل بعض أصحابه وقاتل فى الغابة .

= أو تمتدى على قريش فهى محدودة العدد قليلة العدة لا يعقل ان ترسل لقتال أو تشتبك فى حرب وانما كان القصد منها الوقاية والحصول على المعلومات فضلا عما يفهم من أنها دليل على قوة المسلمين واستعدادهم لتوقى الشر وصد العدوان ورد الصاع صاعين.

ولا تخرج مهمة هذه السرايا عن الأعمال التى تكلف بها دوريات الاستطلاع أو دوريات القتال فى الحروب الحديثة ، يتضح ذلك من حجم القوة وبساطة استعدادها ومدى عملها ، فهى ترقب تحركات القوافل وتختبر مقدار ما تحاط به من حراسة وتلقى فى أذهان المشركين ان استخدام القوة سيقابل بالمثل وان التفاهم أولى من القتال . وقد نجحت هذه البعوث فى أغلب ما ذهبت له . وكان الهدف الأسمى أن تترك قريش للناس حرية العبادة وحرية الدخول الى مكة .

فالنبى صلوات الله عليه لم يفاتح أحدا بالعداء ولم يحارب قط الا حروب دفاع واتقاء .

ومجمل القول فى حروب الاسلام أنها لم تكن حروب هجوم واعتداء وانما كانت الحرب ضرورة محتومة للدفاع واتقاء العدوان . ولم تخف هذه الحقيقة عن الباحثين والمؤرخين الا قلة من المستشرقين ، وحتى هذه القلة لم تعدم من بين صفوف المؤرخين الأجانب ـ من ينبرى لدحض افترائهم وتصحيح وقائعهم ـ على نحو ما فعل توماس كارليل مؤلف « البطولة والأبطال » ـ الذى اعتبر أن استعانة الاسلام بالسيف لحمل الناس على قبول الدعوة هو قول غير مستساغ وسخف غير مفهوم =

= والحق أن الاسلام دين جهاد ، وقد أذن الله لنبيه (ص) فى القتال لدفع الظلم وصد العدوان ، فلم يلجأ المسلمون الى الحرب لنشر الدعوة ولا لاخضاع الخلق ، وانما سالموا من يسالمهم — كما فعلوا مع الحبشة — وحاربوا من بدأهم بالعدوان — كما فعلوا مع قريش واليهود والفرس والروم .

وقد اجمل العلامة المؤرخ المرحوم أحمد زكى باشا أخبار السرايا الاسلامية وأثبت الحقيقة الواقعة من أنها كلها كانت دفعا للأذى وردا على العدوان فقال :

« ان الذى يتأمل فى مثير الحروب الاسلامية بادىء الأمر يعلم علما ليس بالظن أن المسلمين لم يحاربوا الا من أراد صدهم عن سبيل الله فحاربهم وآذاهم ، فمن ذلك أن أول الغزوات كانت مع قريش . فنتركها ونترك سائر غزواتهم كذلك لما هو معروف من أمر قريش وايذائها النبى (ص) وأصحابه واخراجهم من ديارهم ونذكر من بعد ذلك غزوة بنى قينقاع من يهود المدينة ، فقد حاربهم المسلمون لنقضهم العهد بعد غزوة بدر الكبرى وهتكهم حرمة سيدة من نساء الأنصار . ثم غزوة بنى غطفان ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا بعد أن علموا أن بنى ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برئاسة دعثور المحاربى للاغارة على المدينة ، ثم سرية عاصم بن ثابت الأنصارى وكانوا مع رهط عضل والقارة الذين خانوهم ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى قتله عبد الله بن أنيس ؛ ثم سرية المنذر ابن عمرو وهم سبعون رجلا يسمون القراء أخذهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة لطمعه فى هداية قومه وايمانهم فلم يرع قومه جواره وقتلوا القراء ؛ ثم غزوة بنى النضير من يهود المدينة وذلك لنقضهم العهد والقائهم صخرة على النبى صلى الله عليه وسلم لما كان فى =

خرج رسول الله (ص) فى صفر غازيا على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر صفر حتى بلغ

= ديارهم ، ثم غزوة دومة الجندل ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا لما علموا أن فى ذلك المكان أعرابا يقطعون الطريق على المارة ويريدون الاغارة على المدينة ، ثم غزوة بنى المصطلق وهؤلاء ممن ساعدوا المشركين فى أحد ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا جمع الجموع للاغارة على المدينة ، ثم غزوة الخندق وكانت مع الأحزاب الذين حاصروا المدينة، ثم غزوة بنى قريظة من يهود المدينة لنقضهم العهد واجتماعهم مع الأحزاب ثم غزوة بنى لحيان لقتلهم عاصم بن ثابت واخوانه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم غزوة الغابة لاغارة عيينة بن حصن فى أربعين راكبا على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم كانت ترعى الغابة ، ثم سرية محمد بن مسلمة الى القصة لما بلغ المسلمين أن بذلك الموضع ناسا يريدون الاغارة على نعم المسلمين التى ترعى بالهيفاء ، ثم سرية زيد بن حارثة لماكسة بنى سليم الذين كانوا من الأحزاب يوم الخندق ، ثم سرية زيد كذلك للاغارة على بنى فزارة الذين تعرضوا له ، ثم سرية عمر بن الخطاب لما بلغ المسلمين من أن جمعا من هوازن يظهرون العداوة للمسلمين ، ثم سرية بشير ابن سعد لما بلغهم من أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان مقيمين بقرب خيبر للاغارة على المدينة . ثم سرية غالب الليثى ليقتص من بنى مرة بفدك لأنهم أصابوا سرية بشير بن سعد ، ثم غزوة مؤته وكانت لتعرض شرحبيل بن عمر الغسانى للحارث بن عمير الأزدى رسول النبى صلى الله عليه وسلم الى أمير بصرى يحمل كتابا وقتله اياه ، ولم يقتل للنبى صلى الله عليه وسلم رسول غيره حتى وجد لذلك وجدا شديدا . ثم سرية عمرو بن العاص لما بلغهم من أن جماعة من قضاعة يتجمعون فى ديارهم وراء وادى القرى =

ودان وكان يريد قريشا وبنى ضمرة وهى غزوة الأبواء ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

= للاغارة على المدينة ، ثم سرية على بن أبى طالب لما بلغهم من أن بنى سعد بن بكر يجمعون الجموع لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين ، ثم غزوة خيبر لأن أهلها كانوا أعظم محرض للأحزاب ثم سرية عبد الله بن رواحة لما بلغهم من أن باين رزام رئيس اليهود يسعى فى تحريض العرب على قتال المسلمين ، ثم سرية عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان جزاء ارساله من يقتل النبى عليه الصلاة والسلام غدرا ، ثم حرب العراق لما ارتكبه كسرى عندما أرسل اليه كتاب عرض عليه فيه الاسلام ،فانه مزق الكتاب وكتب الى بازان ـ أمير له باليمن ـ يقول له : « بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر اليه فاستتبه ، فان تاب والا فابعث الى برأسه . أيكتب الى هذا الكتاب وهو عبدى ؟ » فبعث بازان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع فارسيين يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فقدما اليه وقالوا له : شاهنشاه بعث الى الملك بازان يأمره أن يبعث اليك من يأتى بك ، وقد بعثنا اليك فان أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك . فليس بعد ذلك عذر للمسلمين فى امتناعهم عن حرب الفرس خصوصا وقد كان للعرب ثارات كثيرة فى ذمة العجم.. ثم غزوة تبوك لما بلغ المسلمين من أن الروم جمعت الجموع تريد غزوهم فى بلادهم . وقد اعقبها فتح الشام والقسم الأعظم من دولة الروم » .

« عن محاضرات الحضارة الاسلامية ـ المحاضرة السابعة ـ نشرت بمجلة الجامعة المصرية » .

(بعث حمزة وعبيدة بن الحرث)

فأقام رسول الله (ص) بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الأول وبعث فى مقدمة ذلك عبيدة بن الحرث فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية . وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام وبعض العلماء يزعم أن رسول الله (ص) بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم الى سيف البحر من ناحية العيض فى ثلاثين راكبا من المهاجرين فلقى أبا جهل بن هشام فى ذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال . وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله (ص) وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبّه ذلك على الناس .

(سرية سعد بن أبى وقاص)

كانت سرية سعد الى الخراز فى ذى القعدة . عقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وبعثه فى عشرين من المهاجرين .

(غزوة بواط)

ثم غزا رسول الله (ص) فى شهر ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا . واستعمل على المدينة السائب ابن مظعون وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن معاذ . وكان قد خرج فى مائتين من أصحابه يعرض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحى ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير .

(غزوة العشيرة)

فى أثناء جمادى الأولى من السنة الثانية غزا قريشا حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة وحمل لواء رسول الله (ص) فيها حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض وخرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من قريش من المهاجرين ممن

انتدب ولم يكره أحدا على الخروج . وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها [1] وخرج ليعترض لعير قريش حين ابدأت الى الشام فكان قد جاءه الخبر بقفولها من مكة فيها أموال قريش فبلغ ذا العشيرة وهى لبنى مدلج فوجد العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام فكانت بسببها وقعة بدر الكبرى .

(سرية عبد الله بن جحش)

وبعث عبد الله بن جحش فى رجب مقفلة من بدر الأولى ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه — وكان فيهم سعد بن أبى وقاص — فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال ذلك لأصحابه وقال قد نهانى أن أستكره أحدا منكم فمضوا لم

(١) يعتقبونها أى يتعاقبون على ركوبها نظرا لأن عدد الرجال أكثر من عدد البعير ، فيختص كل ثلاثة رجال مثلا ببعير واحد يركبه الثلاثة واحد بعد الآخر . وقد كان النبى (ص) يصر على أن يأخذ دوره فى السير اذا ما انتهى دوره فى الركوب ، ولا يقبل أن يتخلى له واحد عن دوره .

يختلف عليه منهم أحد . وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه[1] فتخلفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوة نوفل المخزوميان والحكيم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم فى هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معه فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله (ص) المدينة [2] .

(١) اى يركبه كل منهما شوطا .

(٢) لم يكن النبى (ص) قد امر عبد الله بن جحش وسريته بالقتال وانما ارسله لاستطلاع أخبار قريش ، فلما قاتلوا وقتلوا =

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه أن لرسول الله (ص) مما غنمنا الخمس — وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم — فعزل لرسول الله (ص) خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه . فلما قدموا على رسول الله (ص) قال ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا . فلما قال ذلك رسول الله (ص) سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش اذا استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [1] .

= أحد المشركين فى شهر رجب ، وكانوا لا يعلمون باهلاله تحدث الناس فى ذلك وسألوا هل يحل لهم القتال فيه فنزلت الآية وكان النبى قد رد الأبل والأسرى احتراما للشهر الحرام .

(١) الآية ٢١٧ م البقرة ٢

المعنى : يقول تعالى ان المشركين يسألون عن حرمة الشهر =

ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه وقبض رسول الله (ص) العير والأسيرين وبعث اليه قريش فى فداء أسيريها فقال رسول الله (ص) لا نفديكما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فأنا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله (ص) .

ولما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فأنزل الله فيهم .

(ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)[1] .

= الحرام وان القتال فيه من الكبائر ، وهذا صحيح ولكن هناك ما هو أشد حرمة من هذا فالصد عن سبيل الله والكفر به واخراج النـاس من المسجد الحرام ومحاولة فتنة الناس عن دينهم بالتهديد والوعيد والاغراء والتعذيب اشد سوءا من القتال فى الشهر الحرام وفى غير الشهر الحرام . ان المشركين يثيرون الفتنة فلا جناح على المؤمنين اذا قاتلوهم. ان المشركين يحاولون رد المسلمين عن دينهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وان من يرتد عن دينه ومات كافرا فقد ساء عمله فى الدنيا ، ومآله جهنم

(١) الآية : ٢١٧ م البقرة ٢ ــ نزلت فى سرية عبـد الله بن جحش لما ظن بهم انهم ان سـلموا من الاثم فليس لهم أجر فانزل الله تعالى على نفوس المجاهدين الطمانينة أن المؤمنين والمهاجرين والمجـاهدين فى سبيل الله يرجون رحمة الله ، والله غفور لما يقعون فيه من خطأ وأنه رحيم بهم .

فوصفهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

وكانت غنيمة عبد الله بن جحش أول غنيمة غنمها المسلمون . وكان عمرو بن الحضرمى أول من قتل المسلمون . وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون وعبد الله بن جحش أول من خمس ما غنم فى الاسلام وأول من سمى أمير المؤمنين .

obeikandl.com

غزوة بدر الكبرى

وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

سمع رسول الله (ص) بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون وكانت عيرهم ألف بعير ، فدعى الرسول (ص) المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها (١) .

وخرج رسول الله (ص) من المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وضرب عسكره ببئر أبى عنبة على ميل من المدينة يعرض أصحابه ورد من استصغر وخرج فى ثلاثمائة

---

(١) خرج أبو سفيان فى خريف السنة الثانية للهجرة فى تجارة كبيرة يقصد الشام ، فافلت من المسلمين فى ذهابه ، أو على وجه التحقيق وصلوا الى « العشيرة » بعد أن مرت القافلة ، فعزموا على لقائها فى عودتها .وبعث الرسول (ص) طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد ينتظران مقدمها فى الحوراء حتى اذا مرت وعرفا من أمرها الكثير أخذا طريقها سريعا ليقضيا الى الرسول بما لديهما من معلومات الا انه كان قد تراءى اليه اخبار هذه القافلة وخشى ان تفوته من ايابها كما فاتته فى ذهابها فسارع بالخروج اليها .

رجل وخمسة نفر كان المهاجرون منهم أربعة وستين رجلا وسائرهم من الأنصار . ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وكان أبيض . وكان أمام رسول الله (ص) رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب — وكان في العشرين من عمره — والأخرى مع أحد الأنصار.

وكانت ابل رسول الله (ص) يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة على بعير وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله (ص) فكان اذا كانت عقبة النبي (ص) قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول : « ما أنتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عنه ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة[1] . وخرج المشركون من أهل مكة سراعا ومعهم القيان والدفوف .

---

(١) وصل ضمضم الى بطن الوادي ووقف على بعيره واخذ يصيح فتجمع الناس حوله ، وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصرخ قائلا « يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! (اي المال والتجارة) اموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى أن تدركوها .. الغوث . الغوث ! .

واستشار رسول الله أصحابه فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمر الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه . فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله (ص) أشيروا علىّ فقال عمر يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فاتهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته .

وكان الأنصار عندما بايعوا الرسول (ص) بالعقبة قالوا يارسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلنا اليها فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله (ص) يتخوف من ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأنه ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله (ص) قال له سعد بن معاذ لعلك تريدنا يارسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن

معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هـذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى .

فسر النبى (ص) بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال :

سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله (ص) من ذفران ثم نزل قريبا من بدر . وبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فلقيا رجلين جاءوا بهما الى رسول الله (ص) فسألهما عن قريش قالا وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل[1] فقال لهما رسول الله (ص) كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا ماندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال (ص) : القوم ما بين التسعمائة والألف[2] . هذه مكة قد ألقت عليكم أفلاذ كبدها .

---

(١) التل الكثير الرمل .

(٢) وهكذا استطاع القائد أن يعرف مقدار عدد خصمه من كمية « التعينات » أى المؤن .

وسأل الحباب بن المنذر رسول الله قال : يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال : يارسول الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ثم تغور ما وراءه من القلب[1] ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله (ص) لقد أشرت بالرأى [2] فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس فسار

---

(١) القلب : جمع قليب وهو البئر ـ والتغوير هو ملؤها بالتراب، أى ردمها ، حتى ينضب ماؤها .

(٢) هذا مثل من أمثلة القيادة الرشيدة فان محمدا القائد ـ وهو رسول الله ـ لم ينفرد بالرأى ولم ينهض بالعبء وحده ـ وهو عليه قدير ـ وانما أخذ برأى أصحابه واستشار رجاله حتى يظفر بالرأى الصائب ويشركهم معه فى الأمر ويضع لهم التقاليد والمبادىء ، حتى اذا جاء أحدهم بالفكرة السليمة والخطة الرشيدة سارع رسول الله (ص) فأخذ بها ووافق عليها وقام بتنفيذها ولم يأنف القائد ـ وهو رسول الله ـ أن ينزل على رأى الجندى المجاهد ، الحباب بن منذر حين عدل الأوضاع وبدل فى الخطة .

وتجلى فى هـذا الموقف قـوة معنويات العـرب ومدى أهميـة الايمان بالفكرة والعقيدة والتصميم على الجهاد فى أشد الظروف ، فالمسلمون يواجهون فى هذه المعركة ثلاثة أمثالهم ،ولا يرتقبون غنيمة أو كسبا فقد أفلتت عير قريش ، ولم يعـد أمامهم الا احـدى نهايتين : النصر أو الشـهادة .

أما فى المعسكر الآخر فقد وقف المشركون ، وفيهم صـفوة =

حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

قال سعد بن معاذ : يانبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك[1] ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببناه ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله (ص) ودعا له بخير ، ثم بنى عريشا فكان فيه .

= قريش ولديهم التفوق العددى فى الرجال والسلاح ولهم السيطرة على الموقف .. ومع هذا يترددون بين الانسحاب والقتال ، ولا يمنعهم من الانسحاب سوى فخرهم وخيلائهم فلم يبق بعد ذلك من الحرب مفر .

وهنا تظهر أهمية القوة المعنوية التى قال نابليون بونابرت أنها تساوى ثلاثة امثال الكثرة العددية .

(١) هذه نظرية « الاحتياطى » ، ويرى كثرة من العسكريين أنه ينبغى وجود احتياطى لكل قوة حتى يمكن التصرف اذا مالت كفة المعركة . وبذلك لاينتهى القتال فى معركة وحيدة ، والاحتياطى هنا مجموعة من الركائب يسهل أن تتصل بباقى المسلمين وتجمع منهم قوة جديدة لمواصلة القتال .

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله تصوب من العقنقل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه الى الوادى — قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداة .

أرسلت قريش عمير بن وهب الجمحى فقالوا أحزر[1] لنا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولكن امهلونى حتى أنظر القوم كمين أو مدد . فضرب فى بطن الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا فرجع اليهم فقال :

« ما رأيت شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم . فاذا أصابوا منكم عدادكم فما خير العيش بعد ذلك . فروا رأيكم » .

وجاء حكيم بن حزام الى أبى جهل بن هشام يسأله تجنب الحرب حتى يؤخذ رأى العرب فى محمد (ص) فقال أبو جهل :

---

(١) أى أكشف لنا وهات المعلومات عن العدو ، وهذه من اعمال الكشافة او افراد الاستطلاع .

« والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد » .

وصاح عامر بن الحضرمى واعمراه .

وقال رجال من المشركين لما رأوا قلة أصحاب رسول الله (ص) غرّ هؤلاء دينهم فأنزل الله تعالى :

« اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم، ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » [1] .

وخرج من بين المشركين عبد الأسد المخزومى وكان رجلا شرسا سيىء الخلق فقال : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » .

فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأطن [2] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله

---

(١) الآية ٤٩ م الانفال ٨ ـ المعنى : قال المنافقون والذين اسودت قلوبهم وساءت نفوسهم بسبب الحقد والجهالة لقد خدع المسلمون بما أوصى اليهم به دينهم حتى عرضوا انفسهم لما لا طاقة لهم به ولا قدرة عليه ـ فان عدد المسلمين كان ثلاثمائة بينما كان عدد المشركين زهاء ألف ـ ولم يعلم هؤلاء المارقون أن من يتوكل على الله ويجاهد فى سبيله فان الله يعزه وينصره ، والله يفعل بحكمته البالغة ما لا يعتقده المشركون الضالون .

(٢) أى قطع

دما نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه ، وأتبعه حمزه فضربه حتى قتله فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة .

ثم نادى مناديهم : يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبى (ص) : قم ياعبيدة بن الحرث وقم ياحمزة وقم ياعلى فلما قاموا ودنوا منهم بارز عبيدة : عتبة ، وبارز حمزة : شيبة ، وبارز علىّ : الوليد .. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكرّ حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فدففا [1] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه .

ثم نزل رسول الله (ص) وعدل الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ورسول الله (ص) يناشد ربه ما وعده بالنصر ويقول فيما يقول :

(اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) .

وأبو بكر يقول (يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك) .

وقد خفق الرسول (ص) خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال :

---

(١) أى أجهزا عليه

(أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله) .

واستقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لى ما وعدتنى فأنزل الله عز وجل عند ذلك :

(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدّكم بألف من الملائكة مردفين) [1] .

ودار رحى القتال واشتد أوار المعركة ، وخرج رسول الله (ص) الى الناس فحرضهم وقال :

(والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة) .

فقال عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن « بخ بخ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء .. » ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم حتى قتل ، فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم كانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله

---

(١) الآية : ٩ م الأنفال ٨ ــ المعنى : اذ تلجأون الى الله تنشدون رحمته ونصره فاستجاب لكم انى باعث اليكم مددا يقويكم ، ألفا من الملائكة يتعاقبون ، وجعل الله هذا المدد بشرى ونصرا فتطمئن قلوبهم ، والنصر من عند الله .

(ص) فى العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح السيف فى نفر من الانصار يحرسون رسول الله (ص) يخافون عليه كرة العدو[1] .

ورأى رسول الله (ص) فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس (أى أسر المشركين) فقال له رسول الله (ص) فكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم . قال : أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بالشرك فكان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال .

وقد روى أرباب المغازى والسير أن سعد بن أبى وقاص قتل يوم بدر سعيد بن العاص وأخذ سيفه فنفله رسول الله (ص) اياه حتى نزلت سورة الأنفال وأن الزبير بن العوام بارز رجلا فنفله رسول

---

(١) أظهرت معركة بدر أهمية الروح المعنوية والايمان بالهدف والحرص على بلوغه والاستماتة فى سبيله وقد شجع النبى (ص) رجاله على الاقدام وشحذ عزيمتهم وملأهم ثقة وايمانا وهم أقل عددا وامتيازا من خصومهم ، وفى هذا نزلت الآيتان الكريمتان « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرا يغلبون مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبون الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبون مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » (٦٥ ، ٦٦ الانفال ٨) .

الله (ص) سلبه ، وأن ابن مسعود نفله رسول الله (ص) يومئذ سلب أبي جهل .

ثم بعث رسول الله (ص) عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد ابن حارثة الى السافلة ، واحتمل رسول الله (ص) معه النفل الذي أصيب من المشركين ثم أقبل عليه السلام حتى اذا خرج من مضيق الصفراء فقسم النفل بين المسلمين على السواء ثم فرق الأسارى بين أصحابه وقال : استوصوا بهم خيرا [1] .

وروى أن « أبو سفيان بن الحرث » قدم على أبي لهب فقال أبو لهب هلم الي فعندك الخبر فقال أبو سفيان :

والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس . لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء .

وقد ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فبلغ محمدا

(١) وبهذا وضع النبي (ص) مبدأ في معاملة الاسرى فلا تعذيب ولا تنكيل ، وهذا ما تقول به قوانين الحرب الحديثة ويعمل بضده مجرمو الحرب .

وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب [1] عليكم محمد وأصحابه فى الفداء .

ما قيل من الشعر فى بدر [2]

حمزة بن عبد المطلب :

ألم تر أمرا كان من عجب الدهـــر
وللحـــين أســـباب مبينة الأمـــر
وما ذاك الا أن قـــــوما آفادهـــم
فخـــانوا تواص بالعقـــوق وبالكفر
عشـــية راحوا نحـــو بدر جميعهم
فكانوا رهـــونا للركيـــة من بـــدر

---

(١) لا يأرب أى لا يتشدد ويبالغ .

(٢) احصائيات وقعة بدر الكبرى .

شهدها من الخـــزرج مائة وخمســـة وتسعون
ومن الأوس أربعـــة وســـبعون
ومن المهاجرين اربعـــة وتسعون

مجموع المسلمين فى بدر ثلاثمائة وثلاثة وستون .

واستشهد من المسلمين اربعة عشر .

ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار (ستة من الخزرج واثنان من الاوس) وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون .

وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها

فساروا الينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مثنوية

لنا غير طعن بالمثقفة السمر

وضرب بيض يجتلى الهام حدها

مشهورة الألوان بينة الأثر

على بن أبى طالب :

ألم تر أن الله أبلى رسوله

بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل

بما أنزل الكفار دار مذلة

فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل

حسان بن ثابت :

لقد علمت قريش يوم بدر

غداة الأسر والقتل الشديد

بأنا حين نستجر العوالى

حماة الحرب يوم أبى الوليد

obeikandl.com

(غزوة بنى سليم)

فلما قدم رسول الله (ص) المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

(غزوة بنى قينقاع)

كانت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجره . وكان من أمر بنى قينقاع أن رسول الله (ص) جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال : يامعشر يهود . احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم .

قالوا : يامحمد انك ترى أنا قومك ولا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة . أما والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس .

فنزلت الآية الكريمة :

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى

كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)[1] .

وقد كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله (ص) وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على حكمه[2] .

وفيهم نزلت الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين)[3]

---

(١) الآيتان ١٢ ، ١٣ م آل عمران ٣ المعنى : قل يامحمد لليهود : ستغلبون أيها الكافرون فى الدنيا ، ثم مصيركم النار وبئس المصير . فلا تغتروا بكثرتكم واذكروا ما حدث فى يوم بدر بين المسلمين والكافرين ، وقد تراءى للكافرين عند الالتحام فى القتال أن المسلمين مثل عددهم مرتين — بينما كان المسلمون أقل عددا — ولكن الله أيدهم ونصرهم . وانها لعبرة لمن يبصر ويفكر .

(٢) حارب المسلمون يهود المدينة لأنهم نقضوا العهد بعد غزوة بدر وهتكوا حرمة سيدة من الأنصار .

(٣) الآية : ٥١ م المائدة ٥ المعنى : ينهى الله المؤمنين ان يتخذوا من اليهود والنصارى أولياء وناصرين . لا تصادقوهم ولا تطمئنوا اليهم ولا تستنصروا بهم فانهم يتحالفون ضدكم ويتربصون بكم الدوائر . فمن يجعل منهم أولياء له يصبح حكمه كحكمهم . ان الله لا يهدى الذين يظلمون أنفسهم أو يظلمون غيرهم .

وكذلك الآية الكريمة :

(وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سـواء ان الله لا يحب الخائنين)[1] .

غزوة السويق

كان خروج النبى (ص) من المدينة لخمس خلون من ذى الحجة يوم الأحد على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره .

عندما رجع أبو سفيان الى مكة ورجع فل قريش من بدر ، نذر أن لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا (ص) فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب — قرب المدينة — ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضـير تحت الليل [2] فأتى حيى بن أخطب

---

(١) الآية : ٥٨ م الأنفال ٨ المعنى : اذ ظهرت لك امارات الخيانة ونقض العهد — كما ظهر من بنى النضير — فاطرح اليهم عهدهم ، واعلنهم بنبذة قبل أن تحاربهم . فـلا يتوهم أحد فيك الغـدر أو الخيانة التى لا يحبها الله .

(٢) كان جلاء بنى قينقاع عن المدينة من مظاهر تصفية الموقف فى المدينة وخلاصها من اليهود والمشركين والمنافقين المترددين بين الايمان والكفر ، فبـدأت مرحلة جـديدة من الهـدوء والاستقرار وتنظيم الصفوف مما هز أعصاب قريش وأقلق بال سادتها وفى مقدمتهم أبو سفيان الذى كانت هزيمة بدر تجثم على صدره وأمل الانتقام =

فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام ابن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار (مجموعة) من نخل بها ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس .

فخرج رسول الله (ص) فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار حتى بلغ قرقرة الكدر وجعل أبو سفيان وأصحابه

= يقيم بين عينيه حتى أنه نذر أن لا يمس رأسه الماء حتى يثأر فخرج على رأس مائتين من رجاله ليلا حتى اقتربوا من المدينة ، وفى طريقه ظفر برجلين من الأنصار فقتلهما وأغار على بيتين وبعض النخيل فأحرقها ، فلما بدت طلائع المسلمين فر أبو سفيان ورجاله فكانوا يلقون أحمالهم وزادهم من السويق فى الطريق ، فكانت الاغارة وبالا عليه وهزيمة من حيث أراد الظفر والثأر .

وقد ذاعت هذه الحادثة وبدأت القبائل تعمل حساب المسلمين وخاصة القبائل التى تقيم على طريق الشام ـ وهو طريق التجارة ومورد الرزق ـ فبدأت عدة محاولات لوقف تقدم المسلمين ، ومن ذلك ما اتفق عليه نفر من غطفان وسليم للقيام بعدوان جديد . وعرف رسول الله (ص) بخبر هذا الاتفاق فبادر الى العمل وسار الى « قرقرة الكدر » ليفسد عليهم الخطة ويقطع الطريق . فلما سمعوا بذلك لاذوا بالفرار وظفر المسلمون بنعمهم وشائهم .

يتخففون للهرب وكان أصحابه مائتين كما قدمنا وقيل كانوا أربعين فيلقون جرب السويق وهى عامة أزوادهم فيأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق ، وقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله (ص) يارسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة قال نعم

غزوة قرقرة الكدر

ويقال قرارة الكدر للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجره (ص) . وهى بناحية معدن بن سليم قريب من الأرمضية وراء سد معونة وبين المعدنية وبين المدينة ثمانية برد . وكان الذى حمل لواء رسول الله (ص) على بن أبى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بنى سليم وغطفان فسار اليهم فلم يجد فى المحال أحدا وأرسل نفرا من أصحابه فى أعلى الوادى ، فاستولى على نعمهم ، وكانت خمسمائة بعير ، فأخذ خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين ، وكانوا مائتى رجل بينهم عمر بن الخطاب .

سرية كعب بن الأشرف

كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه السلام .

عندما بلغ كعب بن الأشرف ما حدث في بدر قال :

أحق هذا أترون أن محمدا قتل هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس — والله ان كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

وجعل يحرض على رسول الله (ص) وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع الى المدينة فتشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم ثم انبعث يهجو رسول الله (ص) والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستغواهم فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه ، وأى ديننا أهدى في رأيك وأقرب الى الحق . فقال أنتم أهدى منهم سبيلا وأفضل وفية .

قال رسول الله من لنا من ابن الأشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى قريش فأجمعهم على قتالنا فقال له محمد بن مسلمة أنا لك به يارسول الله أنا أقتله فقال فافعل ان قدرت على ذلك .

وخرج ابن مسلمة مع خمسة نفر اجتمعوا لهذا الأمر فقتلوا كعبا وكان لهذه السرية أثر سيىء في نفس اليهود (١) .

---

(١) أما مقتل كعب بن الأشرف فقد أصاب اليهود بالفزع ، وخاصة وقد أهدر الرسول (ص) دماءهم بعد غزوة بني قينقاع ، فجاءوا اليه شاكين مقتل كعب فقال رسول الله : انه أذانا وهجانا بالشعر ، ولو مر كما مر غيره ممن هو على مثل رايه ما اصابه شر .

غزوة غطفان بناحية نجد

وهى غزوة ذى أمر[1] — استعمل الرسول (ص) على المدينة عثمان بن عفان ثم أقام بنجد صفرا — أى شهر صفر — كله وقريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

ذلك أنه بلغ رسول الله (ص) أن جمعا من ثعلبه ومحارب بذى أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله (ص) جمعهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحرث من بنى محارب فندب رسول الله (ص) المسلمين وخرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فى أربعمائة وخمسين رجلا فأصابوا رجلا منهم بذى القصة[2] يقال له حبّان من بنى ثعلبة فأدخل على رسول الله (ص) فأخبره من خبرهم وقال : لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك لهربوا فى رءوس الجبال .

وبينما كان الرسول فى خلوة أقبل عليه دعثور شاهرا سيفه .

قال : من يمنعك منى اليوم قال رسول الله (ص) : الله .

قال الرواه : وقع السيف من يد دعثور فأخذه النبى (ص)

(١) بناحية النخيل وكانت الغزوة فى ربيع الأول ، العام الثالث الهجرى .

(٢) موضع بقرب المدينة .

وقال له : من يمنعك منى قال لا أحد . أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام .

ونزلت الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) [1] .

غزوة بحران

بلغ الرسول (ص) أن بها جمعا من بنى سليم كثيرا فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه فأغذ فى السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا من مياههم فرجع ولم يلق كيدا .

كانت هذه الغزوة لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجره .

---

(١) الآية : ٩ م الأحزاب ٣٣ المعنى : لقد اعتزم المشركون أن يبطشوا بكم فدفعهم الله عنكم ورد كيدهم ، وهذه نعمة من نعم الله عليكم فاذكروا هذه النعم أيها المؤمنون وتوكلوا على الله واتقوه .

سرية زيد بن حارثة

خشيت قريش من طريقهم التى يسلكون الى الشام [1] حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة — وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلا يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك الطريق وبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله (ص) .

وقد كانت هذه لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من مهاجره وهى أول سرية خرج فيها زيد أميرا .

---

(١) أخذت قريش تفكر فى أمر تجارتها بعد أن أصبح طريقها الى الشام تحت هيمنة المسلمين ، وقد صارح صفوان بن أمية قومه قال « ان محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا — أى أخذوا علينا طريق تجارتنا — فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ، ودخل عامتهم معه فما ندرى أين نسكن ، وان أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وانما حياتنا بمكة على التجارة الى الشام فى الصيف والى الحبشة فى الشتاء » .

ورد أحدهم : تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق .

وقال آخر : انها طريق ليس يطؤها احد من أصحاب محمد فانما هى أرض نجد وقياف .

غزوة أحد

قال رسول الله (ص) أن أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه .

وكانت فى شوال سنة ثلاث يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله ابن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم واخوانهم وأبناؤهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم [1] وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

---

(١) توالت الضربات على قريش منذ بدر ، انهزمت فى كل معترك وتهددت تجارتها ونأى عن محالفتها اليهود ، ولم تجف دموعها على هزيمتها فى بدر فاجتمع كبارها واستقر رايهم على الانتقام واصرت النسوة على أن يسرن الى الحرب ، وقيل فيما قيل « لا نريد أن نرجع الى ديارنا حتى ندرك ثأرنا او نموت دونه » .

وقال ابن سعد : لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التى قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة فى دار الندوة فمشت أشراف قريش الى أبى سفيان فقالوا نحن طيبو أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان فأنا أول من أجاب الى ذاك وبنو عبد مناف فباعوها فصارت ذهبا وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار فسلم الى أهل العير رءوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم وكانوا يربحون فى تجارتهم لكل دينار دينارا .

قال تعالى :

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون)[1] .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص) حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطلعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

---

(١) الآية : ٣٦ م الأنفال ٨ ــ المعنى : ان المشركين الكافرين يريدون العودة الى قتال المؤمنين وصدهم عن دينهم فيجمعون لذلك الهدف أموالهم وانهم لينفقونها من أجل هذا الغرض ومع ذلك فستذهب أموالهم هباء وسوف يتحسرون على ضياعها والنتيجة الهزيمة ثم جهنم .

وكتب العباس بن عبد المطلب الى رسول الله (ص) بخبرهم كلـه .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله (ص) يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان فى الأسـار فقال يا رسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة فامنن علىّ صلى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله (ص) .

قال صفوان بن أمية ، أحد أقطاب حركة الثأر لعمرو هذا : يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فلك الله على ان رجعت أن أغنيك وأن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فرجع أبو عزة ومشافع بن عبد مناف يستنفران الناس بأشعار لهما ، فأما أبو عزة فظفر به رسول الله (ص) بعد الوقعة بحمراء الأسد فقال يا محمد أقلنى فقال لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، وقال عليه السلام :

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق .

وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا فأقبلوا حتى نزلوا بعينين — جبل ببطن السيخة من قناة على شفير الوادى مقابل للمدينة[1] — فلما سمع بهم رسول الله (ص) قد نزلوا حيث نزلوا قال للمسلمين : انى قد رأيت خيرا . رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة .

وعن ابن هشام : فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون .

وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل .

قال رسول الله (ص) فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

فقال رجل من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاته بدر مع رسول الله (ص) :

أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون انا جبنّا منهم وضعفنا .

فلم يزالوا برسول الله (ص) حتى دخل فلبس لأمته ، ثم

---

(١) خرجت قريش تقصد المدينة فى ثلاثة الوية قوامها ثلاثة آلاف رجل من مكة مزودين بالسلاح والمؤن ومائتى فرس وثلاثة آلاف بعير فسارت الحملة الى الابواء ثم العقيق حيث نزلت فى سفوح جبل أحد على خمسة أميال من المدينة .

خرج عليهم قالوا يا رسول الله استكثر هنالك [1] ولم يكن لنا ذلك فان شئت فاقعد .

فقال رسول الله (ص) ما ينبغى للنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل[2] .

وخرج رسول الله (ص) فى ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبى بثلث الناس . وقال أطاعهم وعصانى ما ندرى علام نقتل أنفسنا فرجع بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب . وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا

(١) تتمثل فى هذه القصة حرية الرأى . بأجلى صورة ، فالجندى يدلى برأيه ـ فى شجاعة وأدب ـ وان جاء مخالفا لوجهة نظر القائد . وقد كان رأى الاغلبية من جند الرسول « ص » المبادرة الى خوض القتال ، ولكنهم لا يكرهون القائد على قبول هذا الرأى ، وانما يرتقبون منه القرار الاخير والامر النافذ .

وكان النبى (ص) قد بلغته الأنباء من عمه العباس بن عبد المطلب الذى كان قلبه مع محمد وعقله مع قومه ، وتأكد النبى (ص) من الأنباء التى وصلته أذ بعث من رجاله كشافة تتكشف تحركات قريش ، وبدا أن المعركة الكبرى أقبلت وان قريشا وضعت كل قوتها ومواردها لكى تضرب ضربتها فتثأر من بدر وتطيح بقوة « محمد » وتستعيد مكانتها من العرب وتؤمن تجارتها .

(٢) وهنا .. نرى القائد ، وقد استقر رأيه على القتال ، لا يتراجع ولا يتردد ، فما دام قد اتخذ قراره ، ولبس لأمته ـ أى ارتدى عدة الحرب ـ فلا يخلعها حتى تضع الحرب أوزارها .

لا نرى أنه يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه .

فلما رجع عبد الله بثلثمائة سقط فى أيدى الطائفتين من المسلمين وهما أن يقتتلا وهما بنو حارثة وبنو سلمة قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت الآية .

(فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)[1] .

قال رسول الله (ص) انها طيبة وانها تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة .

وقال الأنصار يوم أحد : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم[2] .

وقال رسول الله (ص) لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب — أى من قرب — من طريق لايمر بنا عليهم[3] فقال أبو خيثمة بن الحارث أنا يا رسول الله .

---

(١) الآية : ٨٨ م النساء ٤ المعنى : لقد تخلف المنافقون عن الجهاد فكيف تختلفون فى أمرهم وقد ردهم الله الى الكفر بعد الايمان بسبب ما كسبوه من الردة : لقد أضلهم الله لسوء نيتهم ولعدم ايمانهم وثباته وردهم الى حكم الكفرة .

(٢) لم يرتض القائد الاستعانة بقوم غير موثوق بتأييدهم ، وخاصة اذا كانت التجربة السابقة قد أثبتت عدم اخلاصهم .

(٣) وهنا يحقق القائد مبدأ هاما من مبادىء الحرب وهو «السلامة» فيطلب أن تكون التحركات على طريق لا يراه العدو ، وبذلك يستطيع أن يصل الى هدفه سالما .

ومضى رسول الله (ص) حتى نزل الشعب من أحد فى عروة الوادى الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال[1] .

وتعبأ رسول الله (ص) للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لاتؤتين من قبلك[2] .

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة وكانوا مائة ومنهم سبعمائة دارع والظعن خمس عشرة امرأة وشاع خبرهم فى الناس ومسيرهم حتى نزلوا ذا الحليفة .

وبعث رسول الله (ص) عينين له أنسا ومؤنسا ابنى فضالة

---

(١) اتخذ القائد مكانه ، ونظم صفوفه ، ثم أصدر امره بالثبات والاستعداد حتى تحين « ساعة الصفر » فيصدر أمره بالقتال .

(٢) لقد حدد القائد لكل قوة مكانها وواجبها ، وأصدر أمره الصريح لقائد الرماة عبد الله بن جبير أن لا يبارح مكانه ولا يتعد حدود واجبه ، وهو تثبيت العدو ، مهما كانت النتيجة : هزيمة أو نصرا .. وسنرى أن مخالفة القائد لهذا الامر قد جاءت بأشد الاضرار .

الظفريين ليلة الخميس لخمس مضت من شوال فأتيا رسول الله (ص) بخبرهم وانهم قد حلوا ابلهم وخيلهم فى الزرع الذى بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء .

والتقى صاحب لواء المسلمين بصاحب لواء المشركين [1] فقتله بضربة سيف ، ثم انتشر النبى (ص) وأصحابه وصاروا كتائب متفرقة فجاسوا العدو ضربا حتى أجهضوهم عن أثقالهم وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة .

وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم [2] قتلا .

لم يكن مع المسلمين يوم أحد من الخيل الا فرس رسول الله (ص) .

وقال رسول الله (ص) من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة فقال وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه اياه .

---

(١) عن ابن هشام أن أبا سعيد بن أبى طلحه خرج بين الصفين ينادى أنا قاصم من يبارزنى فلم يخرج اليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم الى الجنة وأن قتلانا الى النار . كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم . فخرج اليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فقتله على .

(٢) أى امعنوا فيهم قتلا .

وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت ، وحين رآه رسول الله (ص) يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن .

وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا .

فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتوعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللائى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

ويها بنى عبد الدار
ويها حماة الأدبار
ضربا بكل بتار

وتقول :

أن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب .

قال الزبير بن العوام : وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله (ص) السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانه فقلت والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه وقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كان يقول اذا عصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهـــدنى خليـــلى ونحن بالسفح لدى النخيـــل
أن لا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله والرسول [1]

فجعل لا يلقى أحدا الا قتله :

وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا دفف عليه [2] ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقتـــه فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله .

ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عـــدل السيف عنها . وقال أبو دجانة رأيت انسانا يحمش [3] الناس حمشا شديدا فعمدت اليه فلما حملت عليه السيف ولول . فأكرمت سيف رسول الله (ص) أن أضرب به امرأة .

---

(١) الكيول ، بفتح الكاف وضم الياء ، مؤخر الصفوف .
(٢) أجهز عليه .
(٣) حمشه : أغضبه وهيجه وحرضه على القتال .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : والله أني لأنظر الى حمزة يبد الناس بسيفه فما يليق شيئا مثل الجمل الأورق .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) حتى قتل فأعطى رسول الله الراية عليا بن أبي طالب .

ودنا القوم بعضهم من بعض والرماه يرشقون خيل المشركين ، وصاح طلحة صاحب اللواء من يبارز فبرز له علي فقتله ثم حمل لواءهم عثمان ابن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره[1] ثم حمله أبو سعيد بن طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله ثم حمله مسافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم فقتله ثم حمله كلاب بن طلحة فقتله الزبير بن العوام ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبد الله . ثم حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب . وكان آخر من أخذ اللواء منهم صواب فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذه بصدره وعنقه حتى قتل عليه .

فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون

(١) صدره .

السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ووقفوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من المغانم .

وتكلم الرماة الذين على عينين واختلفوا بينهم وثبت أميرهم عبيد الله بن جبير فى نفر يسير دون العشرة مكان وقال :

لا أجاوز أمر رسول الله (ص) بغنى .

ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله (ص) فقالوا لم يرد رسول الله (ص) هـذا . قد انهـزم المشركون فما مقامنا ههنا . فانطلقوا يتبعون العسكر وينتهبون معهم وخلوا الجبل [1] .

ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله فكرّ بالخيل ، وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم وقتل أميرهم عبد الله بن جبير وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وجالت الريح فصارت دبورا وكانت قبـل ذلك صبـا . ونادى ابليس أن محمدا قد قتل واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون به من العجلة

---

(١) تعتبر معركة احد أكبر شاهد على أهمية «الضبط والربط» فى المعركة فان مخالفة أوامر القيادة واحداث تغيير فى الخطة والجرى وراء الغنائم ، كل هذه ليست الا كسرا للقاعدة العسكرية وتحطيما لتقاليدها واستهتارا بالنظام واهمالا للآداب العسكرية .. والنتيجة هى الضياع .

وبسبب مخالفة الضبط والربط تفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة ودارت الدائرة على المسلمين وحلت بهم الهزيمة بعد أن كان النصر قاب قوسين أو ادنى .

والدهش . ونادى المشركون بشعارهم بالعزى بالهبل فأوجعوا فى المسلمين قتلا ذريعا وولى من ولى منهم يومئذ .

قال موسى بن عقبة ولما فقد رسول الله (ص) قال رجل منهم ان رسول الله (ص) قد قتل فارجعوا الى قومكم فيؤمنونكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا البيت[1] .

وقال رجل منهم لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا .

وقال آخرون ان كان رسول الله (ص) قد قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عزّ وجل شهداء .

وثبت رسول الله (ص) ما يزول يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار حتى تحاجزوا .

وروى البخارى لم يبق مع النبى (ص) الا اثنا عشر رجلا .

وعن ابن طلحة : غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه وكان يوم

(١) كان هذا العمل من أعمال الدعاية استغلالا بارعا للموقف ، فان نشر اشاعة مقتل القائد واثارة الفزع والفوضى والتهديد عما يعمل على تحطيم الروح المعنوية ولهذا قال قائل منهم : لقد قتل رسولكم فارجعوا الى أهليكم . اى سلموا . فتأمنوا على أنفسكم قبل أن يقتلوكم ويدخلوا بيوتكم ..

بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله (ص) فقذف بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت [1] . شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

وعن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبى (ص) يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك :

(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون)[2] .

ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله (ص) يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته ووقع رسول الله (ص) فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون[3] فأخذ على بن

---

(١) كلمت أى جرحت .

(٢) الآية ١٢٨ م آل عمران ٣ المعنى : ليس لك يا محمد من تدبير أمر العباد شيء ، فاما أن يتوب الله على المشركين واما يفديهم ، فانهم ظالمون يستحقون العذاب « ١٢٨ م ـ آل عمران » .

(٣) من وسائل التمويه والاخفاء كان المشركون يلجأون الى عمل حفر وتغطيتها حتى لا يفطن اليها المسلمون فيقعون فيها .

أبى طالب بيد رسول الله (ص) ورفعه طلحة بن عبد الله حتى استوى قائما .

قال رسول الله (ص) من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر الى طلحة بن عبد الله .

ونزع أبو عبيدة بن الجراح احدى الحلقتين من وجه رسول الله (ص) فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين .

وترس[1] دون رسول الله (ص) أبو دجانة بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله (ص) قال سعد فلقد رأيته يناولنى النبل ويقول ارم سعد فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

وكان كعب بن مالك أول من عرف رسول الله (ص) بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله (ص) قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ص) فأشار لى رسول الله (ص) أن انصت فلما عرف المسلمون رسول الله (ص) نهضوا به ونهض معه نحو الشعب أبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحرث بن الصمة ورهط من

(١) ترس أى دافع وجعل من نفسه درعا لوقاية الرسول (ص)

المسلمين بايموه على الموت . فلما أسند رسول الله (ص) أدركه أبى بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا . فاعترض له رجال من المسلمين فأمرهم الرسول (ص) فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير يقى رسول الله بنفسه فقتل مصعب وأبصر رسول الله (ص) ترقوة أبى بن خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، ففى ذلك نزلت :

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) [1] .

وبينما رسول الله (ص) فى الشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله (ص) اللهم انه لاينبغى لهم أن يعلونا [2] فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

ونهض رسول الله (ص) الى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

(١) « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم » (الآية ١٧ م الانفال ٨) .

(٢) استطاع المشركون أن يستولوا على موقع حاكم يسيطرون فيه على الموقف ، ولهذا دفع الرسول « ص » بعض صحابته لاخلاء هذا الموقع حتى لا يكون ثمة خطر يهدد جنوده ، وقد كشف بذلك عن بصيرة حربية نافذة ، وقال برأى يلتزمه رجال الجندية فى العصر الحديث .

ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللائى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله (ص) يجدعن الآذان والأنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خرما وقلائد وبقرت من قلب حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر ... ولا أخى وعمّه وبكر
شفيت نفسى وقضيت نذرى ... شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى ... حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى ... حمزة ليثى وعلىّ صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدرى ... فخضبا منه ضواحى النحر

ونذرك السوء فشر نذر

ثم بعث رسول الله (ص) على بن أبى طالب[1] فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ما يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا

(١) فى رواية ابن عائذ . انه بعث سعدا بن أبى وقاص

الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم .

قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ما يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتلاهم .

وسأل رسول الله عن سعد بن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات فوجدوه جريحا فى القتال وكان آخر ما لفظ به السلام على رسول الله . وخرج رسول الله(ص) يلتمس حمزة بن عبد المطلب فنظر الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان أوجع لقلبه منه ونظر وقد مثل به فقال رحمة الله عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم . والله لأمثلن بسبعين منهم ؛ فنزلت الآية :

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين [1] .

وأمر رسول الله (ص) بجمع القتلى وصلى عليهم .

---

(١) الآية : ١٢٦ م النحل١٦ المعنى : اذا أردتم أن تنزلوا بخصومكم العقاب بسبب عدوانهم عليكم فليكن ذلك بقدر تعديهم عليكم دون زيادة وبغير اغراق فى الانتقام ، ولئن صبرتم على أذاهم فالصبر خير لكم وأجدى عليكم لأن دفع الشر بالخير أفضل من صدم الشر بالشر ، والعقبى للصابرين .

الذين استشهدوا يوم « أحد »

جميعهم ٩٦ منهم من المهاجرين أحد عشر ومن الأنصار خمسة وثمانون ومن الأوس ثمانية وثلاثون ومن الخزرج سبعة وأربعون.

عن ابن اسحق : من المهاجرين أربعة ومن الأنصار واحد وستون (من الأوس أربعة وعشرون ومن الخزرج سبعة وثلاثون) .

وعن أبى عمر فى كتابه المغازى : أن قتلى أحد « سبعون » ومن الناس من يجعل السبعين من الأنصار خاصة وكذلك قال ابن سعد فى باب غزوة أحد لكنهم فى تراجم الطبقات له زادوا على ذلك ويذكر فى تفسير قوله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ..) [1] انه تسلية للمؤمنين عمن أصيب منهم يوم أحد بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلا وسبعين أسيرا .

وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرون رجلا .

---

(١) « أو لما أصابتكم مصـــيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شىء قدير » (الآية : ١٦٥ م آل عمران ٣) .

المعنى : أيها المسلمون ، لقد نزلت بكم نازلة يوم أحد ، فقتل منكم سبعون وكنتم انتصرتم يوم بدر وقتلتم من الكافرين سبعين وأسرتم سبعين ! فهل تريدون ان تعلموا سبب هزيمتكم فى أحد .. السبب هو انكم تركتم موقفكم الذى أمركم به رسول الله وأسرعتم وراء الغنائم فدارت عليكم الدائرة .

ومما قيل فى الشعر يوم أحد قول حسان بن ثابت يذكر أصحاب اللواء من بنى عبد الدار :

تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أتيحوا جميعا ... فى مقام وكلهم مذموم
وأقاموا حتى أزيروا شعوبا [1] ... والقنا فى نحورهم محطوم
وقريش تفرّ منا لواذا [2] ... أن يقيموا وخف منها الحلوم

وقال يبكى حمزة :

دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى اذا أعصفت ... غبراء فى ذى الشبم الماحل
والتارك القرن لذى لبدة ... يعثر فى ذى الخرص الذائل
واللابس الخيل اذا أحجمت ... كالليث فى غابته الباسل
أبيض فى الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم ... شلت يدا وحشى من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه ... وأسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله فى جنة ... عالية مكرمة الداخل

---

(١) موتا .

(٢) مستخفين .

وقال كعب بن مالك يذكر يوم أحد :

جالوا وجلنا فما فاءوا ولا رجعـوا

ونحن نتبعهـــم لم نأل فى الطلب

لســنا ســواء وشــتى بين أمرهما

حزب الاله وأهل الشرك والنصب

قال رسول الله(ص) لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تبارك وتعالى ، فأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عزّ وجل على نبيه هذه الآيات :

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء .) [1]

---

(١) « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خـوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمـة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنـين . » (الآيات ١٦٩ — ١٧١ م آل عمران ٣) .

المعنى : لا تظن ان الذين استشهدوا وهم يجاهدون العـدو اموات كغيرهم ممن ينتهى أجلهم ولكنهم احياء قريبون من ربهم فى جنتـه سـعداء بما أضفى الله عليهم من فضل واحسان ويستبشرون =

غزوة حمراء الأسد

وهى صبيحة يوم الأحد لست عشرة مضت من شوال :

وأذن مؤذن رسول الله (ص) فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يومنا بالأمس .

وانما خرج رسول الله (ص) مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبه ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . فخرج — رسول الله (ص) حتى انتهى الى حمراء الأسد — وهى من المدينة على ثمانية أميال . وكان معبد بن الخزاعى قد رأى خروج رسول الله (ص) والمسلمين الى حمراء الأسد ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله (ص) فى طلبهم ففت ذلك فى أعضاد قريش وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه (ص) فتمادوا الى مكة .

ودعا رسول الله بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه الى علىّ ابن أبى طالب وخرج وهو مجروح فى وجهه ومشجوج فى جبهته

= باخوانهم الذين استمروا فى جهادهم بعد أن تبين لهم أمر الآخرة وما فيها من خير عميم . ان الله لا يضيع جهاد المؤمنين الذين على الرغم مما أصابهم من هزيمة ونكبات فى وقعة أحد نفروا الى الحرب عندما دعاهم رسول الله (ص) فالذين أحسنوا منهم وجاهدوا لهم أجر عظيم عند ربهم .

ورباعيته قد شظيت[1] وشفته السفلى قد كلمت فى باطنها وهو متوهن منكبه وركبتاه مجحوشتان .

وركب رسول الله (ص) فرسه وخرج الناس معه فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة[2] فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد فقتلوهما .

سرية أبى سلمة بن عبد الأسد

فى هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا :

بلغ رسول الله (ص) أن طليحة وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما ينعونهم الى حرب رسول الله (ص) فدعا رسول الله (ص) أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم. فخرج فأغذّ[3] فى السير ونكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار

---

(١) بوجهه وجبهته جروح ورباعيته حدث بها كسر وشفته السفلى تورمت من الجرح وفكه مصاب وكذلك ركبتاه .. وذلك مما حدث له من اعتداء المشركين عليه فى وقعة أحد .

(٢) الطليعة : المقدمة والمقصود بأفرادها أن يقوموا بالاستطلاع وكشف آثار العدو .

(٣) اغذ : أسرع .

وانتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم فضمه رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت سائرهم فجاءوا جميعهم فحذروهم فتفرقوا فى كل ناحية ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فى طلب النعم والشاء فآبوا اليه سالمين قد أصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة [1] .

سرية عبد الله بن أنيس

يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجرة :

علم رسول الله (ص) أن سفيان بن خالد الهذلى بعزته قد جمع الجموع لرسول الله (ص) فبعث رسول الله (ص) عبد الله بن أنيس

---

(١) هذه السرية صورة لما يطلق عليه اليوم داورية استطلاع تشكل من عدد قليل من الأفراد خف حملهم ، لا يدفعون للقتال الا اضطرارا لمجرد الدفاع عن النفس والتخلص من العدو ، وانما مهمتهم الأصلية هى الحصول على معلومات عن العدو ، عن مكانه وأسلحته وعدده وخططه ومحاولة أسر بعض رجاله أو أسلحته . ومما يلاحظ فى سرية ابى سلمة ان التعليمات التى تلقاها تتضمن عدم الاشتباك مع العدو حيث ان ذلك ليس مما يدخل فى رسالة هذه السرية المحدودة العدد والسلاح ، وانه تحددت لهذا القائد طريقه ومهمته وتنبه عليه بعدم التورط فى القتال .. وليس اكثر من هذا ولا ادق من هذا يقوله القائد العصرى فى يومنا هذا لقائد داورية الاستطلاع .

ليقتله فقال صفه لى يارسول الله . فقال اذا رأيته هبتـــه وفرقت منه[1] . قال وكنت لا أهاب الرجال فاستأذنت رسول الله (ص) أن أقوم فأذن لى فأخذت سيفى وخرجت أحتزى[2] الى خزاعة حتى اذا كنت ببطن عزته لقيته يمشى ووراءه الأحابيش ومن ضوى[3] اليه . فعرفته بنعت رسول الله (ص) وهبته فرأيتنى أفتر عرقا فقلت صدق الله ورسوله . فقال من الرجل فقلت رجل من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك قال أجـــل انى لأجمع له . فمشيت معه ساعة وحدثتـــه فاستحلى حـــديثى حتى انتهى الى خبائه[4] وتفرق عنه أصحابه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا فى الجبل وضربت العنكبوت

---

(١) خفت منه .

(٢) عمل جرىء من أعمال الفـدائيين الذين يتخفون فى سيرهم ويدخلون على العدو فى عرينـــه ويقومون بعمل خطـــير كقتل أحـــد المسئولين أو تدمير أحد المرافق الحيوية .

ومما يلاحظ فى هذا التوجيه أن الروح المعنوية كانت على أشدها. فان عبد الله بن أنيس كاد يعلم من الرسول (ص) مهمته الخطيرة وهى قتل رجل رهيب، حتى صدع بالأمر على الفور وانطلق وراء هدفه لا يبالى .. قال له اقتله ــ وهـــو يعلم أنه فى عقر داره وبين رجاله ــ فذهب وقتله ! .

(٣) آوى اليـــه .

(٤) مسكنه أو خيمته .

على" وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار [1] حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله (ص) فى المسجد فلما رآنى قال أملح الوجه قلت أملح وجهك يارسول الله ، فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبرى .

بعث الرجيع

وكان فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجرة رسول الله (ص) :

بعث رسول الله (ص) عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى حتى اذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام . فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم . فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا الى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق وأن لا نقتل منكم أحدا .

قال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر . ثم قال اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل

---

(١) وهكذا كانت العمليات الليلية معروفة فى أيام العرب يلجأ اليها المحارب امعانا فى الاستتار من العدو وتقديرا لمبدأ المفاجأة . وكان رسول الله (ص) يقول : وادرعوا الليل فانه أخفى للويل .

اليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء أسوة — يريد القتلى — فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فانطلق بخبيب وزيد حتى باعوهما .

وابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصل ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت . ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول :

فلست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

قصة بئر معونة

وكان فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد

قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله (ص) فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام . وقال يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله (ص) انى أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم ليدعو الناس الى أمرك . فبعث رسول الله (ص) المنذر بن عمر فى أربعين من أصحابه من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهى الى حرة بنى سليم أقرب ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (ص) الى عدو الله عامر ابن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله . ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا فأجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى

غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم رحمهم الله الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث [1] من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا رحمه الله [2].

غزوة بنى النضير

فى شهر ربيع الأول على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد.

خرج رسول الله (ص) الى بنى النضير ليستعينهم فى ديّة قتيلين الذين قتل عمرو بن أمية الضمرى، للجوار الذى كان رسول الله (ص) عقد لهما — وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله (ص) يستعينهم فى ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم

---

(١) ارتث أى انتقل جريحا وبه رمق.

(٢) أمام هذه الوقعة — التى ذهب ضحيتها اربعون من خيار المسلمين — وغيرها من الوقائع التى كانت وبالا عليهم نشعر بقسوة الجهاد وفداحة التضحيات، فما كانت حياة الرسول (ص) كلها انتصارات وما تقدمت دعوته فى يسر وانما كان الجهاد ديدن المسلمين والتضحية ثمن النصر، وقد لقى المسلمون الظلم والتعذيب والموت، ليس فقط فى بدء الدعوة، ولكن فى كافة أدوار الجهاد، ولما دخلوا ساحة الحرب ذاقوا النصر وعرفوا الهزيمة. فلا يظنن أحد ان الطريق كان مرصوفا والرحلة ممتعة .. وانما وصل المسلمون الى الوحدة والحرية والكرامة بفضل الجهاد والعناء والتضحية.

ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هـذه — ورسول الله (ص) الى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن حجاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك . فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله (ص) فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنه . فقال سلام بنى مشكم — يعنى لليهود — لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم ، وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه [1] .

فقام رسول الله (ص) راجعا الى المدينة فلما استلبث النبى(ص) أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا من المدينة مقبلا فسألوه فقال رأيته داخلا الى المدينة فأقبل أصحاب النبى (ص) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت أرادت يهود من الغدر به .

---

(١) رواية ابن سـعد عن بنى النضير : أنهم حـين هموا بغدر رسول الله (ص) وأعلمه الله بذلك ونهض سريعا الى المدينة بعث اليهم محمد بن مسلمة أن أخرجوا من بلدى فلا تساكنون بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر . وقد أجلتـكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون . فأرسل اليهم ابن أبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى الفين من قومى ومن العرب يدخلون حصنكم فيموتون عن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤهم من غطفان ، فطمع حيى فيما قال ابن أبى ، وأرسل الى رسول الله (ص) : انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

ونزل فى ذلك :

(ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[1] .

أمر رسول الله (ص) بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال . ونزل تحريم الخمر

فتحصنوا منه فى الحصون فأمر رسول الله (ص) بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها [2] وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم .

---

(١) الآية : ١١ م المائدة ٥ . المعنى : يا أيها المؤمنون ان الله ينعم عليكم برحمته وفضله ورعايته اذكروا نعمته عليكم اذ اعتزم القوم ان يبطشوا بكم فدفعهم الله عنكم .

(٢) لم يكن قطع النخيل وتحريقها من الفساد وانما كان من مقتضيات الوقف ، فقد نكث اليهود العهد وأعملوا حيلتهم وكادوا يفتكون بالنبى (ص) فساق الحرب الى ديارهم وحاصرهم وكان عليه أن يعجل بهزيمتهم اختصارا للتضحيات والوقت والدماء . ونزلت سورة الحشر فأيدت هذا المعنى واظهرت أن ما حدث كان بأمر الله لنكاية اليهود .

فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا [1] وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة . ففعل .

فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على بعيره وينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام .

وخلفوا خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا ، أما أموالهم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء .

فلما غنم الرسول (ص) بنى النضير دعا ثابت بن قيس فقال ادع لى قومك فقال ثابت الخزرج يارسول الله قال الأنصار كلها فدعا له الأوس والخزرج . قال رسول الله (ص) للأنصار ليست لأخوانهم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل أقسم هذه فيهم وأقسم لهم من أموالهم ما شئت فنزلت :

---

(١) كان استعداد اليهود للقتال على زعم أن لهم حلفاء ينصرونهم ولكن قريظة اعتزلتهم فلم تغنهم ، وخذلهم ابن أبى وحلفاؤهم من بنى غطفان فيئسوا من نصرهم وقالوا نحن نخرج عن بلادك فقال لا اقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الأبل الا الحلقة (اى الأسلحة) فنزلت يهود على ذلك .

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[1].

وهى من آيات سورة الحشر [2] التى نزلت فى أمر بنى النضير [3]

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله (ص) بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع ، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان واستعمل على

---

(١) الآيتان ٨ ، ٩ الحشر ٥٩ .

(٢) وفيها هذه الآيات الكريمة :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » . (٢ ، ٣ ، ٤ الحشر ٥٩) .

(٣) كان بنو النضير قد عاهدوا الرسول (ص) بأن يكونوا لا معه ولا عليه ، فلما انهزم المسلمون فى أحد نكثوا عهدهم وحالف بعض رؤسائهم خصوم المسلمين وهموا بقتل الرسول (ص) فحاربهم وحاصرهم واجلاهم .

المدينة أباذر الغفارى — ويقال عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام — حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع — وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع ، وقيل لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق ، وقيل بل الجبل الذى نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع — فلقى بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله (ص) بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

غزوة بدر الأخيرة

قدم رسول الله (ص) المدينة من غزوة ذات الرقاع فأقام بها بقية جمادى الأولى الى آخر رجب ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد بن سفيان حتى نزله . واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله ابن أبى بن سلول الأنصارى . فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران — وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان — ثم بدا له فى الرجوع فقال يامعشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا . فرجع الناس ثم انصرف رسول الله (ص) الى المدينة .

وكان رسول الله (ص) قد خرج فى هذه الغزوة فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكانت الخيل عشرة أفراس . وكان استخلف على المدينة عبد الله بن رواحة .

غزوة دومة الجندل

غزا رسول الله (ص) دومة الجندل فى شهر ربيع الأول ثم رجع قبل أن يصل اليها ولم يلق كيدا وأقام بالمدينة بقية سنته . قال ابن سعد قالوا بلغ رسول الله (ص) أن بدومة الجندل جمعا كثيرا يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من طرف المدينة[1] وهى طرف من أطراف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة فندب رسول الله (ص) الناس وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من المسلمين وكان يسير الليل ويكمن بالنهار [2] فلما دنا منهم اذ هم

---

(١) تعتبر هذه العملية عملية استراتيجية لانها استهدفت تطهير بقعة حيوية من العدو الذى يتهددها . فلما هم الرسول (ص) بغزوها نفر الكفار وجلوا عنها فامنت من شرهم وسلمت البقاع المجاورة ذاعت هذه الأخبار فى كافة الأنحاء فقويت كلمة المسلمين .

(٢) وهكذا كان النبى (ص) يعمل بفكر القائد المرفق ويأخذ بطريقة القتال الليلى اسعانا فى التستر وتغليقا لبدا الرتابة وتجهيزا للمفاجأة ، وهو (ص) القائل — قبل ان يفطن القادة العصريون لاهمية القتال الليلى — وادلجوا الليل فانه اخفى للويل .

مغربون واذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب منها من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ونزل رسول الله (ص) بساحتهم فلم يلق بها أحدا فأقام بها أياما وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منها أحـــدا ورجع رسول الله (ص) الى المدينة لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر.

obeikandl.com

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس — وقال ابن سعد فى ذى القعدة — كان من حديث الخندق أن نفرا من يهود حزبوا الأحزاب ضد رسول الله (ص) خرجوا حتى قدموا على قريش مكة يدعونهم الى حرب رسول الله (ص) قالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود : انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ، أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم . (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت [1] .

---

(١) ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا . (٥١ — ٥٥ النساء ٤) .

(المعنى) : عجبا أمر هؤلاء اليهود الذين اعطوا حظا من الكتاب =

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله (ص) فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب الرسول (ص) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم[1] ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف وعقدوا اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان ابن طلحة وقادوا معهم ثلثمائة فرس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير وخرجوا يقودهم سفيان بن حرب ورأتهم . بنو سليم[2] وكانوا

= وقد دفعهم النبى الى ممالأة الكافرين الى حد أنهم يشهدون للاصنام والأوثان ويتملقون الكفار لكى يصلوا الى اهدافهم فيقولون لهم على محمل المجاملة والخداع — أن عبادة الأوثان أفضل وأرشد من عبادة الله التى يدعو اليها محمد (ص) فهؤلاء بعيدون عن رضا الله ورحمته وقد صب الله عليهم نقمته ولعنهم ولهم سوء المصير ولن يجدوا ناصرا ينصرهم من دون الله . فهل هم يحسدون المسلمين على فضل الله عليهم بالنبوة وما العجب فى ذلك فقد منحنا آل ابراهيم من قبل — وهم أسلاف محمد — الكتاب والحكمة وملكا عظيما .

ولذلك فقد انقسموا أمام هذا المفترق قسمين ، منهم آمن بمحمد ومنهم من صد عنه ، ومن صد عنه فمآله جهنم .

« والجبت اسم صنم ، والطاغوت ما يعبد من دون الله » .

(١) تابعيهم .

(٢) بنو سليم ، وبنو أسد ، وفزارة ، واشجع ، وبنو مرة من القبائل ذات الشأن ، وهم الذين أطلق عليهم « الاحزاب »

سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدى ، وخرجت فزارة فأرعبت وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحرث بن عوف فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبيلة عشرة آلاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر [1] وعناج [2] الأمر الى أبى سفيان .

فلما بلغ رسول الله (ص) ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم فأشار عليه سلمان بالخندق فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رسول الله (ص) الى سفح سلع وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف .

وضرب على المدينة الخندق فعمل رسول الله (ص) ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه فدأب ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله (ص) وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف من العمل ويتسللون اليهم بغير علم من رسول الله (ص) ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين اذا نابته نائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله (ص) ويستأذنه

(١) كانت هذه القوة مشكلة فى ثلاثة جيوش متحفزة للقتال .
(٢) عناج الامر : أى لواء القيادة .

من اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير واحتسابا به .

فأنزل الله عزّ وجل فى ذلك :

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١)

---

(١) الآيتان : ٦٢ ، ٦٣ م النور ٢٤ .

المعنى : هذا تنظيم بلغ الغاية للعلاقة بين القائد وجنوده — وفى الميدان بصفة خاصة — فالقائد والجنود هنا على أمر جامع هو التجهيز لدحر العدو . فلا يصح لأحد أن يبارح مكانه أو يتوقف عن العمل المنوط به قبل أن يستأذن من القائد . فالذى يفعل هذا ويستأذن عند الحاجة هو المؤمن حقا برسالته . المؤمن بالحق المتمسك بآداب الجندية الصحيحة . وللقائد أن يأذن أو لا يأذن حسب مقتضيات الموقف فهو ادرى من غيره « بالموقف العام » .

وعلى الجندى أن يخاطب قائده بلهجة مؤدبة لا يرفع صوته ولا يناديه كما ينادى باقى النفر من زملائه فان للقائد احترامه وهيبته =

ولما فرغ رسول الله (ص) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال وغطفان ومن تبعهم بذنب نقمى[1] الى جانب أحد وخرج رسول الله (ص) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع[2] فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذرارى أن يجعلوا فى الآطام[3].

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة وكان رسول الله (ص) يبعث سلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ، وكان عباد بن بشر على حرس رسول الله (ص).

وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عكرمة بن

= فلا تقل للقائد يا محمد ولكن قل يا رسول الله ، وفى هذا تحريم عن ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام دون وصفه بالرسالة أو النبوة .

اما الذين يخرجون خفية ومن غير اذن فانهم مارقون مخالفون (يتسللون لواذا أى خفية وزوغانا) ونتيجة ذلك وبال على المخالفين، لأن ذلك اضرار بالعمل لا يرضاه الله .. وللمخالفين والمارقين عذاب اليم .

(١) جبل قريب من احد

(٢) مكان جاء ذكره من قبل فى جوار أحد .

(٣) الأبنية المرتفعة .

أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب الفهرى يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله (ص) ويقدمون رماتهم فيرمون .

وبعث رسول الله (ص) الى قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله (ص) أن يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا :

يارسول الله أأمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ .

قال (ص) : بل شىء أصنعه لكم . والله ما أصنع ذلك الا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما [1] .

---

(١) اذا راجعنا هذا الموقف من وجهة النظر الحربية الصرفة وجدنا أن « قائد جيش المسلمين » قد أجرى تقديرا للموقف ، ووضع فى حسابه الحقائق الآتية :

أولا ، بالنسبة للعدو :

- العدو متفوق فى العدد والعدة .
- يتخذ خطة الهجوم ويملك حرية الحركة والمناورة .

فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه . وهم لا يطمعون أن يأكلوا ثمرة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام

- الروح المعنوية عالية ، وخاصة بعد الانتصار في واقعة أحد .
- ينظر الى المعركة باهتمام كبير ويعلق عليها الامل فى استعادة المجد الضائع .

ثانيا ، بالنسبة للمسلمين :

- أقل عدة وعددا
- يتخذون خطة الدفاع ، ولا يملكون ميزة المبادأة ولا حرية العمل
- الروح المعنوية عند المدافعين أقل منها عند المهاجمين ، وتتأثر تدريجيا كلما طال وقت الحصار .
- ان روح الايمان لم تتغلغل فى نفوس الجميع ، وعلى الرغم من أن الغالبية عميقة التأثر بالرسالة ماضية فى الجهاد الى النهاية الا أن هناك جماعات لم يكمل ايمانها ولم تكتمل عقيدتها ، بعضهم يتردد وبعضهم لا يصبر .
- ان المعركة فاصلة سيكون لنتيجتها أثر خطير فى مستقبل الفريقين ولهذا رأى القائد أن يحاول شطر عدوه ، واخراج بعض قواته من المعركة بالحيلة والرشوة ـ والحرب خدعة ـ فشرع فى ذلك حتى يتفادى هزيمة ماحقة .
- ولم يشأ القائد أن ينفرد وحده بالخطة بل دعا اركان حربه يستشيرهم فيما عقد العزم عليه مرجعوه فى الرأى واختلفوا معه فى الخطة بأسلوب بلغ الغاية فى احترام القيادة وتقديس حرية الرأى ، أما القائد فبلغ بدوره الغاية فى النزول عند رأى مستشاريه عندما أوضحوا له صحة رأيهم واقتنع برجاحة تفكيرهم .

وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا .. ما لنا بهذا من حاجة . والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

قال رسول الله (ص) فأنت وذاك :

فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا .

وأقام رسول الله (ص) والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش تلبثوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا : تهيأوا يابنى كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا :

والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع . وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم . وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم .

وكان عمر بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه . فلما وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز له على بن أبى طالب .

وقد روى فى ذلك أن عمرا لما نادى بطلب من يبارزه قام على رضى الله عنه وهو مقنع فى الحديد فقال له أنا له يانبى الله . فقال له اجلس انه عمرو . ثم كرر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها . أفلا تبرزون لى رجلا . فقام على فقال : أنا يارسول الله . فقال : اجلس انه عمرو .

ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع ... وقفة الرجل المناجز
وكذاك أنى لم أزل ... متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة فى الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام على فقال أنا له يارسول الله . فقال : انه عمرو . فقال : وان كان عمرا . فأذن له رسول الله (ص) فمشى اليه على وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجى كل فائز
انى لأرجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو : من أنت . قال أنا على .

قال : ابن عبد مناف . قال : أنا على بن أبى طالب .

قال : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره أن أهريق دمك .

فقال على : لكنى والله ما أكره أن أهريق دمك .

فغضب عمرو ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا ، فاستقبله على بدرقة فضربه عمرو فيها فصدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه . فضربه علىّ على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله (ص) التكبير فعرف أن عليا قد قتله.

قال سعد بن معاذ :

اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه . اللهم ان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة[1] .

وقد جهز المشركون نحو رسول الله (ص) كتيبة عظيمة غليظة فقاتلوهم يوما الى الليل فلما حضرت العصر دنت الكتائب فلم يقدر النبى (ص) ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة

---

(١) هذه صورة لجندى مسلم وسجاهد قوى أمين يؤمن بالهدف الذى يحارب من أجله ، ويعد نفسه لاحدى نهايتين الانتقام من العدو ودحره أو الاستشهاد فى الحرب ضده ، وانه ليلقى نهايته قرير العين فى سبيل ما يعتقده ، ويقبل على الموت راضيا وهو يؤدى واجبه .

على ما أرادوا فانكفأت مع الليل فزعموا أن رسول الله (ص) قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا [1].

وأقام أسيد بن الحضير على الخندق فى مائتين من المسلمين ، وكرّ خالد بن الوليد فى خيل من المشركين يطلبون عزة المسلمين فناوشوهم ساعة ، ومع المشركين وحشى ، فزرق الطفيل بن النعمان من بنى سلمة بمزراقه فقتله وانكشفوا ، ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا ، الا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة [2].

ثم وقع الخلف بين الحلفاء الكفار ، وطال بهم أمد الحصار واشتدت عليهم الريح فلم يستطيعوا صبرا . وكان النبى (ص) قد أرسل عيونا تجسس له الأخبار . وروى أن أبا سفيان جمع القوم فقال :

---

(١) شغل هجوم العدو النبى (ص) عن الصلاة . ولم يؤثر النبى الصلاة على الحرب ! بل أخذ فى امور القتال حتى فاتته صلاة العصر والمغرب والعشاء ، وهو عليها جد حريص لأنها من اركان الاسلام ، وبذلك وضع التقليد السليم للمسلمين الا يشغلوا عن الصلاة فى الحرب فهى خير وبركة .. الا اذا كانت معركة ! ولا بأس اذا احتدم القتال من الانشغال عن الصلاة فى مواقيتها حتى يبدأ وطيسها ولا يكون ثمة خطر ماثل .

(٢) هذا مبدأ من مبادىء الحرب المعروفة « السلامة » ويقضى بايجاد قوة متيقظة لدفع غارات العدو المناجئة !

يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام . ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة . ولقينا من هـذه الريح ما ترون . ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فانى مرتحل .

ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم .

وقال رسول الله (ص) حين أجلى الأحزاب :

الآن نغزوهم ولا يغزوننا . نحن نسير اليهم .

وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فى مائتى فارس ساقة لعسكر المشركين ورداء لهم مخافة الطلب[1] .

وفى غزوة الخندق قال حسان بن ثابت :

ساروا بجمعهمو اليـه وألبوا ... أهل القرى وبوادى الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهمو ... متخمطون بحليـة الأحـزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهـم ... ردوا بغيظهمو على الأعقـاب
بهبوب معصـفة تفرق جمعهم ... وجنـود ربك سـيد الأرباب
وكفى الاله المؤمنين قتالهـم ... وأثابهم فى الأجر خـير ثواب

---

(١) من عمليات التعطيل ، ويقصد بها شغل العدو عن متابعة « المطاردة » حتى تسلم القوات الرئيسية .

غزوة بنى قريظة

انصرف رسول الله (ص) عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ثم واتته فكرة المسير الى بنى قريظة[1] ثم سار اليهم فى المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة .

وقال رسول الله (ص) لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة .

وحاصرهم رسول الله (ص) خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم حتى

---

(١) فى العرف العسكرى الحديث أن اية عملية دفاعية لا تحقق الهدف الا اذا تبعها الهجوم على العدو ، فقد كبد الدفاع العدو خسارة فى الأنفس والأسلحة والمعنويات ولكن النصر رهن بعملية هجومية تفصل فى المعركة وقد رأينا فى وقعة الخندق ان محاولة الكفار باءت بالفشل وانهم تعرضوا للمكث فى العراء أياما يبذلون الجهد الجهيد نهارا وليلا وتقسو عليهم العواصف فاضطروا الى الانصراف ولكن لم تنزل بهم الهزيمة فكان لابد لدحرهم من عمليات هجومية يبادر اليها المسلمون . ولهذا قال رسول الله (ص) بعد الخندق :

« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » .

يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم .

قالوا : وما هى ؟ .

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره .

قال : فاذا أبيتم هذه فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى نجد النساء والأبناء .

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم .

قال : فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة .

قالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ .

قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

ثم انهم بعثوا الى رسول الله (ص) أن ابعث الينا أبا لبابة ابن عبد المنذر نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله (ص) فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم .

وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد .

قال : نعم . وأشار بيده الى حلقه انه الذبح .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص) [1] .

وأنزل الله عز وجل فى أمر الخندق وبنى قريظة من القرآن القصة فى سورة الأحزاب [2] .

---

(١) ان قوما مصابين فى اخلاقهم منهارة معنوياتهم لا يمكن أن يدخلوا فى عداد المجاهدين فاذا حاق بهم مكروه لم يستطيعوا عليه صبرا ، ولهذا فقد ضعفوا أمام الحصار ، ونزل فى قلوبهم الرعب قبل أن ينشب القتال ، ولا نتيجة لذلك غير التسليم .

(٢) لقد أوضحت هذه السورة الكريمة موقف فريقين فى حومة القتال ، وكشفت عن تفاصيل عسكرية ونظامية ومعنوية فى كل من المعسكرين . وبدأت العمليات باتخاذ المسلمين خطة الدفاع حفروا خندقا يحول دون وصول المشركين اليهم . لم يأخذ المسلمون بخطة الهجوم لأن العدو اكثر عددا وسلاحا ولأن المسلمين لم يكونوا على تمام الاستعداد فالحركة فى بدئها وما زال بين الصفوف مرجفون ومترددون . وأقبلت الاحزاب نحو الخندق ــ قريش وغطفان وبنو قريظة ــ وبدأوا يهجمون قوى المسلمين ويدورون حول الخندق يلتمسون سبيلا ، ويقومون بطلعات من الفرسان للتظاهر والتخويف ــ

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا . اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا . ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لاتمتعون الا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك

= وقد كان لهذا أثره فى بعض المسلمين الذين لم يتعد اسلامهم السطح من نفوسهم ، فمنهم من كان يتأرجح بين الاسلام والكفر ، ومنهم من كان يرقب الذى يفوز فينضوى تحت لوائه ومنهم الذين لم يطهر الاسلام قلوبهم فهم فى جزع وقلق ينشدون لذائذ الحياة فتسربوا من مكان المعركة او حرضوا غيرهم على الخروج .

تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا . يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا . لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين (١)

---

(١) الآيات : ١٦ ـ ٢٦ م الأحزاب ٣٣ .

قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار . وهذا درس يصح لكل زمان ولكل قوم . فهل الفرار من الجهاد عاصم من امر الله ، وهل الموت يهبط فى الحرب فقط . وماذا ينفع الفرار غير قتل الروح واهدار الكرامة وتمتع بالحياة الى حين ؟!

أما رسول الله (ص) القائد فكان نموذجا لجنوده ومثالا للمجاهدين ، اشترك بيده فى حفر الخندق وعاش عيشة رجاله وتعرض للمكروه معهم ، وكان لا ينفرد برايه بل كان الأمر شورى بينهم . وكان المؤمنون حقا يجاهدون ويصبرون ويصدقون فى اللقاء فمنهم من استشهد ومنهم من شهد رفع الغمة وقدوم النصر . وقد انفضت الحرب بغير معركة حاسمة لما حدث فى صفوف المشركين من فرقة وما ألم بهم من ريح صرصر زلزلت أقدامهم وما وقع فى قلوبهم من رعب . وكان للمؤمنين النصر والغلبة وكانت لهم ديار الكفار وأموالهم باذن الله لقاء ايمانهم وجهادهم فى الله حق الجهاد .

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما . ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا) .

سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء[1]

بعث رسول الله (ص) محمد بن مسلمة الى القرطاء من هوازن خرج لعشر ليال خلون من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهرا

---

(١) هذه السرية فى تعدادها وتشكيلها وهدفها تماثل الدورية فى العمليات الحديثة ، وعلى التحديد يمكن تشبيهها بدورية الفدائيين التى تتسرب الى أماكن العدو الحيوية أو مستودعاتهم فتصيبها بالتلف او تستولى على مواردها وتموينها .

ويبدو من كثرة الاسلاب أن ناحية البكرات كانت منطقة رعى خصيبة وان الغارة حققت هدفها من ناحيتين : مفاجأة العدو وازعاجه ، والاستيلاء على تموينه .

كذلك اتبعت السرية فى تقدمها من المدينة الى ضرية خطة الدوريات ونفذت اساليب الفدائيين فى العمليات الليلية والتسلل فى اراضى العدو وايقاع المفاجأة فى صفوفه .

من مهاجره . بعثه من ثلاثين راكبا الى الرقطاء وهم بطن من بنى أبى بكر بن كلاب وكانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية ، وبين المدينة وضرية سبع ليال . وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليل وكمن النهار ، وأغار عليهم فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم . واستاق نعما وشاء ولم يعرض للظعن .

وانحدروا الى المدينة فخمس رسول الله (ص) ما جاء به ، ورد على أصحابه ما بقى فعدلوا الجزور بعشر من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاه .

وغاب تسع عشرة ليلة وقدم لليلة بقيت من المحرم .

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق [1]

واستأذن نفر من الخزرج رسول الله (ص) فى قتله ذبا عن الله وعن رسوله (ص) ، وتشببا بالأوس فيما فعلوه من قتل ابن

---

(١) وخبر هذه السرية لايحمل معنى العمليات الحربية ولا يناسب تسميتها بسرية ، وانما هى من العمليات الفدائية التى ينتدب لها متسللون يحسنون الاختفاء والتمويه حتى يصلوا الى الفريسة بأخف هندام وأقل سلاح .

وليست عملية قتل رجل بذات شأن يستحق التسجيل والتأريخ =

الأشرف فأذن لهم ، وكذلك كانوا رضى الله عنهم يتنافسون فيما يزلف الى الله والى رسوله .

وكان ابن أبى الحقيق بخيبر فخرج اليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة بن ربعى وخزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم .

وأمر رسول الله (ص) عليهم ابن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فخرجوا حتى اذا قدموا « خيبر » أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا ، فلم يدخلوا بيتا فى الدار الا أغلقوه على أهله حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم فقالوا ناس من العرب نلتمس الميرة .

قالت ذا صاحبكم فأدخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفا أن يكون دونه محولة تحول بيننا وبينه . وصاحت

= الا اذا كان الهدف رجلا معروفا أو قائدا كبيرا يؤدى قتله الى غنم واضح .

ومما يلفت النظر فى الأمر الذى أعطاه القائد لهؤلاء الفدائيين الا يقتلوا وليدا أو امرأة ، وهذا من تقاليد الجندية التى أخذ بها المحاربون الشرفاء عدة قرون الى أن جاءت الحروب العالمية حاملة الموت للجميع بلا تفرقة بين عسكرى ومدنى أو رجل وامرأة أو شيخ وطفل .

المرأة فنوهت بنا قال ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا والله ما يدلنا عليه فى سواد الليل الا بياضه كأنه قبطية ملقاة .

ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله (ص) فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليـــل .

فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطنى قطنى .. حسبى حسبى .

غزوة بنى لحيان

فى غرة هلال شهر ربيع الأول سنة ست خرج النبى (ص) الى بنى لحيان ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة [1] ، حتى

(١) تعتبر هذه الغزوة غير محققة لاهدافها ، فقد كان القصد منها مفاجأة العـــدو والاغارة عليه ، فكانت خطة القائد أن يلفت الأنظار عن غرضه الرئيسى مدعيا أنه يقصد الشام وبذلك يفاجىء العـــدو فى عقر داره ، ولكن العدو كان حريصا أو على علم بما يبيت له فاتخذ للأمر أهبة وترك منازله وتمنع فى رءوس الجبال ، وبذلك ضاعت المفاجأة وانقلبت الخطة .

ويلاحظ أن القائد لم يتورط فى عملية جديدة لم يستعد لهـــا . وبذلك قفل راجعا ولم تخول له اطماعه أن يزيد .

ولا بأس اذا لم تنجح مثل هذه الغزوة فلم تكن حروب الاسلام كلها انتصارا ، فكانت هزائم وانتصارات فطال أمد الجهاد وصعب طريقه وكثر شهداؤه ، ومن الألم والأمل ، والهزيمة والنصر يصنع الجنود وتقوى الجيوش وتحيا الأوطان .

أتى منازل بنى لحيان فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبـــال .

فلما نزلها رسول الله (ص) وأخطأه من غرتهم ما أراد قال لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة . فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله (ص) قافلا.

فكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله (ص) يقول حين وجه آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون .

غزوة ذى قرد

ويقال لها غزوة الغابة

قدم رسول الله (ص) المدينة فلم يقم بها الا ليال قلائل حتى أغار عيينة بن حصن فى خيل من غطفان على لقاح [1] رســـول الله (ص) بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح . وكان أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع [2] نظر الى بعض

---

(١) ابل .

(٢) مرتفع قريب يشرف على المنطقة .

خيولهم فأشرف الى ناحية سلع [1] ثم صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع [2] فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى .

ثم اجتمع بعض الفرسان فأمر عليهم رسول الله (ص) سعد ابن زيد ثم قال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس .

وسار رسول الله (ص) حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس وأقام عليه يوما وليلة ، ثم رجع رسول الله (ص) الى المدينة وكان قد غاب خمس ليال .

سرية سعيد بن زيد إلى العرنيين [3]

وهى فى شوال سنة ست : وكان قد قدم على رسول الله (ص) نفر من عرينة ، وعرينة حى من بجيلة [4] ، وكانوا مجهودين مضرورين قد كادوا يهلكون فأنزلهم عنده وسألوه أن ينجيهم من

---

(١) من مواقع المشركين .
(٢) أى يوم القضاء على اللئام .
(٣) اهل عرينة ، حى من بجيلة .
(٤) من قبائل المدينة .

المدينة فأخرجهم رسول الله (ص) الى لقاح له بفيفاء الخبار [1] من وراء الحمى فيها مولى لرسول الله (ص) يدعى يسارا فقتلوه ثم مثلوا به واستاقوا لقاح رسول الله (ص) فبعث رسول الله فى أثرهم فأدركوا فوق المنفى فأمر بهم رسول الله (ص) فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل [2] أعينهم وأمير الخيل يومئذ سعيد ابن زيد .

وقد نهى رسول الله (ص) بعد ذلك عن المثل [3] بالآية التى فى سورة المائدة :

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) [4] .

---

(١) كرهوا المقام فى المدينة فأمر باقامتهم فى مكان آخر ، فى حمايته .

(٢) لقد أريد بتقطيع الأيدى والأرجل وغرس الشوك فى الأعين .. الخ ، أريد بذلك القصاص بنفس العمل الذى قام به قطاع الطرق .

(٣) التمثيل بالقتلى بتشويه وجوههم أو قطع ألسنتهم .. الخ .

(٤) الآية ٣٣ م المائدة ٥ المعنى : نزلت هذه الآية فى قطاع الطريق الذين يتهددون الآمنين فيقتلون وينهبون الأموال ويثيرون الرعب فيكون اقامة الحد على قاطع الطريق بقتله اذا قتل وقطع أيديه وأرجله اذا نهب مالا . وقتله وصلبه اذا فعل الفعلتين : القتل والنهب . وسجنه أو اخراجه من البلد اذا قام بغارته على الآمنين دون أن يصل الى قتل أو نهب .

غزوة بنى المصطلق

وهى غزوة المريسيع

فى شعبان سنة ست[1] بلغ رسول الله (ص) ان بنى المصطلق[2] يجمعون له ، وقائدهم الحرث بن أبى ضرار فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل . فتزاحف[3] الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم . ونفل رسول الله (ص) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه .

وكان رسول الله (ص) عندما انتهى الى الماء فضرب عليه قبته فتهيأوا للقتال وصف رسول الله (ص) ودفع راية المهاجرين الى أبى بكر وراية الأنصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله (ص) أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم وسبى رسول الله (ص) الرجال والنساء والذرية . وأمر بالأسارى فكتفوا وأمر بالغنائم فجمعت وجمع الذرية .

---

(١) اختلف المؤرخون أصحاب المغازى فى ترتيبها فهى فى سنة ست عند أبى اسحق . وفى سنة أربع عند موسى بن عقبة وسنة خمس عند ابن سعد فتكون قبل الخندق .

(٢) المصطلق هو جزيمة بن كعب من خزاعة ، على مقربة من مكة .

(٣) زحف كل فريق على الآخر .

وكان الابل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبى مائتى بيت .

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

فى ربيع الأول سنة ست وجه رسول الله (ص) عكاشة بن محصن الى الغمر فى أربعين رجلا فخرج سريعا يغذ السير ونذر به القوم فهربوا عليا بلادهم ووجد ديارهم خاوفا [1] فبعث شجاع ابن وهب طليعة فرأى أثر النعم فتحملوا فأصابوا ربئة [2] لهم فأمنوه فدلهم على نعم لبنى عم له فأغاروا عليها فاستاقوا مئتى بعير فأرسلوا الرجل وحدروا النعم الى المدينة .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة [3]

فى ربيع الآخر سنة ست . بعث رسول الله (ص) محمد بن مسلمة الى بنى ثعلبة وبنى عوال وهم بذى القصة — وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا طريق الربذة — فى عشرة نفر فوردوا عليهم ليلا فأحدق بهم القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن

---

(١) خالية من اهلها .

(٢) طليعة .

(٣) بفتح القاف والصاد ، موضع قرب المدينة .

مسلمة جريحا فضرب كعبه فلا يتحرك وجردوه من الثياب ومر بمحمد بن مسلمة رجل من المسلمين فحمله حتى ورد به الى المدينة .

فبعث رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فساقه ورجع .

سرية أبى عبيدة الجراح

الى ذى القصة

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح الى ذى القصة فى شهر ربيع الآخر سنة ست .

قالوا أجدبت بلاد بنى ثعلبة وأنمار ووقعت سحابة بالمراض الى تغلمين والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار الى تلك السحابة وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهى ترعى بهيفاء ، موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا من المسلمين فسشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال فأصاب رجلا واحد فأسلم وتركه فأخذ نعما من نعمهم وقدم بذلك المدينة .

غزوة رسول الله (ص) الحديبية

خرج رسول الله (ص) فى ذى القعدة سنة ست معتمرا لا يريد حرباً . واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت . وخرج رسول الله (ص) بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق الهدى معه وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . وكان الناس سبعمائة رجل وقيل الفا وأربعمائة وقيل خمس عشرة مائة .

ولقيه بعسفان بشر بن سفيان الكعبى فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطاقيل [1] قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم وقد قدموها الى كراع الغميم .

قال رسول الله (ص) يا ويح قريش أملتهم الحرب . ماذا عليهم

---

(١) النياق حديثات النتاج ، أى أنهم لم يتركوا شيئا له قيمة

لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين . وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش . فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة [1] .

ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقا وعرا أجذل [2] بين شعاب وأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادى .

وأمر رسول الله (ص) الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيش ذلك فلما رأت قريش فترة الجيش قد خالفوا طريقهم ركضوا راجعين الى قريش .

فلما اطمأن رسول الله (ص) أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به فأخبرهم أنه لم يأت حربا وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فرجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب .

---

(١) ناحية مقدم العنق ، والمقصود أن يلقى حتفه .
(٢) طريقا صعبا شاقا .

ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال هذا الرجل غادر . فلما انتهى الى رسول الله (ص) قال له رسول الله (ص) نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله (ص) .

ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة بن ربان وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله (ص) قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسير اليه من عرض الوادى بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله (ص) اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا له اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك .

ثم بعثوا لرسول الله عروة بن مسعود الثقفى فقال يا معشر قريش انى قد رأيت منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ . وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله (ص) فقال له نحوا مما كلمه به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا فقام من عند رسول الله فقال يا معشر قريش : انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه

والنجاشي في ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه .

وبعث رسول الله (ص) خراش بن أمية الخزاعى الى قريش بمكة ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله (ص) وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش [1] فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ص) .

وبعث قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص) ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا . فأخذوا أخذا فأتى بهم الى رسول الله (ص) فعفا عنهم وخلى سبيلهم .

ودعا رسول الله (ص) عثمان بن عفان الى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان بن عفان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد ابن العاص فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فانطلق عثمان حتى أتا أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به . فقال لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله (ص) اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال :

(١) قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا فى الحبشى وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا بالله أنهم يد واحدة .

ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (ص) فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص) ان عثمان قد قتل . قال رسول الله (ص) حين بلغه أن عثمان قتل (لا نبرح حتى نناجز القوم) .

ودعا رسول الله الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص) على الموت .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله (ص) قالوا ائت محمدا وصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا. فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبدا . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى سهيل الى الرسول (ص) تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح [1] .

ثم انصرف رسول الله (ص) من وجهه ذلك قافلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح [2] .

---

(١) اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

(٢) نزلت بعد منصرفه (ص) من الحديبية عند كراع الغميم وقيل عند جبل ضجنان فقرأها (ص) وقال : لقد أنزلت سورة =

(انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا . هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) .

وفيها ذكر البيعة :

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) .

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض

= أحب الى من الدنيا ومن فيها) وعد الله ورسوله فتح مكة غفرانا ونعمة وهداية ونصرا . وقد حلت بالمسلمين الطمأنينة فى أحرج المواقف حتى يشتد ايمانهم والله هو القوى واهب النصر .

ان الذين يعاهدونك على الجهاد ـ بيعة الرضوان بالحديبية ـ انما يعاهدون الله نفسه فقوة الله فوق قوتهم فاذ نقض أحدهم العهد جلب على نفسه الشقاء ومن وفى بالعهد فسيكون له الاجر العظيم على جهاده وثباته .

أصحاب العاهات لهم العذر فى التخلف عن الجهاد والله لا يكلف نفسا الا وسعها . ولهذا يعزز الجنود ويستبعد منهم ذوو العاهات .

كان المؤمنون عددا محدودا التفوا حول محمد (ص) ثم كثروا واشتد عودهم وعظم أمرهم كما يبدأ الزرع صغيرا ثم تقوى طاقته ويتولد منه أفرع وثمرات .

حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) .

غزوة خيبر

أقام رسول الله (ص) بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وخرج منه غازيا الى خيبر ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة الا شهر وأيام . وقد سلك على عصر فبنى فيها مسجدا ثم على الصهباء ثم أقبل الى خيبر حتى نزل بواد يقال له الرجيع . فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) .

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله (ص) من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى اذا ساروا منقلة [1] سمعوا

---

(١) مرحلة .

خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسبما ظنوا أن القوم قد خالفوا اليها [1] فرجعوا على أعقابهم وخلوا بين رسول الله وبين خيبر وتدانى رسول الله (ص) الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ثم الغموض حصن بنى أبى الحقيق ثم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما ورخاء منه .

وبعث رسول الله (ص) أبا بكر برايته الى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث للغد عمر بن الخطاب فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد . فقال عليه السلام لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه . ليس بفرار . فدعا عليا — وهو رمد — فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك فخرج بها يهرول حتى ركزها فى رضم [2] من حجارة تحت الحصن فما رجع حتى فتح الله عليه .

غـــزوة مـــؤتة

وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام فى جمادى الأولى سنة ثمان

بعث رسول الله (ص) الحرث بن عمير الأزدى ، أحد بنى لهب ، بكتابه الى الشام ، الى ملك الروم — وقيل الى ملك بصرى

(١) جاءوا من خلف .
(٢) مجموعة من الصخور الكبيرة .

— فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبرا . ولم يقتل لرسول الله (ص) رسول غيره فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه .

فبعث رسول الله (ص) بعثة الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على الناس فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف . فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله (ص) وسلموا عليهم .

ثم مضوا حتى نزلوا معان — من أرض الشام — فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب — من أرض البلقاء — فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على « معان » ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا نكتب لرسول الله (ص) فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له .

قال عبد الله بن رواحة :

يا قوم ، والله ان الذى تكرهون للتى خرجتم لهـا تطلبون الشهادة .

وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا

الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور واما شهادة .

ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرب البلقاء يقال لها مشارف . ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة . فالتقى الناس عندها .

وتهيأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجل من الأنصار يقال له عبادة ابن مالك . ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ص) حتى شاط فى رماح القوم . ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقروها ثم قاتل القوم حتى قتل [1] . وروى أنه أخذ اللواء بيمينه فقاتل به حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل ثم أخذها عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه فجعل ينتزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم فقال : يا ناس اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت قال ما أنا بفاعل .

---

(١) روى أنه وجد ما بين صدر جعفر ومنكبيه وما اقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح .

فاصطلح الناس على : خالد بن الوليد .

فلما أخذ خالد الراية دافع القوم وحاشى [1] بهم ثم انحاز وأنجز عنه حتى انصرف بالناس [2] وقد حكى ابن سعد وغيره ان الهزيمة كانت على المسلمين وحكى أيضا أن الهزيمة كانت على الروم وكذا فى صحيح البخارى . والمختار من ذلك ما ذكره ابن اسحق من انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة .

سرية عمرو بن العاص

الى ذات السلاسل

وهى من وراء وادى القرى .

سميت بماء بأرض جذام يقال له السلسل . وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان .

---

(١) من الخشية فكأنه خاف عليهم .

(٢) وجد القائد الجديد أن الموقف لا يحتمل المضى فى القتال ، لقد قام بعمل « تقدير الموقف » نظر فى الفريقين المتقاتلين ووازن بين القوى المختلفة والعناصر التى يملكها كل منهما فلم يجد تكافؤا ولهذا قرر أن ينسحب ، وأن يستخدم مواهبه فى فض القتال بلا خسارة أو كارثة فشرع بتنظيم عملية الانسحاب بما دافع به القوم وحاشى أو خاشى بهم ثم انحاز ! ـ فهو قد أعمل الحيلة حتى نجا بجيش المسلمين من هذا المعترك وكانت عملية انسحاب ناجحة =

بلغ رسول الله (ص) أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا الى أطراف المدينة [1] فدعا رسول الله (ص) عمرو بن العاص وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء . وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمر أن يستعين بمن مر به من « بلى » و « عذرة » و « بلقين » [2] .

فسار عمرو بن العاص الليل وكمن النهار [3] .

= تذكر لهذا القائد الفذ الذى وضع قدمه فى ساحة القادة العظام فى التاريخ كله .. والعملية ـ عملية الانسحاب عند الهزيمة ـ تعتبر من أشق العمليات الحربية التى تفوق النصر . وهى محك القائد العظيم.

(١) فى هذه السرية تتحقق نظرية من أصدق نظريات الحرب وهى أن « الهجوم هو خير وسائل الدفاع » فلم ينتظر القائد ـ وقد علم بأن العدو يستعد للتحرك ـ وانما دفع قواته نحو العدو حتى تكون المبادأة معه والروح الهجومية فى صفوفه . وبذلك غير خطة العدو ، وحمله على تلقى الهجوم على غير ما استعد له .

(٢) ان توجيه القائد لأمير جنده أن يضم الى جيشه من يجد فى البلاد التى يمر بها هو توجيه يقتضيه المقام وله هدفان : الأول نشر الدعوة وادخال الاعراب فيها . والثانى تقوية الجيش بعناصر من صالحها دفع الخصم الذى كان ينوى الاغارة عليهم .

(٣) وكان قائد العمليات فطنا . يتخذ الليل ستارا يخفى تحركاته عن عيون العدو ، ويفادى فى سراه الليلى حرارة الشمس . ويعد العدة لمفاجأة العدو فى عقر داره قبل أن يكتشف التحركات ويستعد لها . أى أن عمرو بن العاص أخذ بنظرية العمليات الليلية وحقق مبدأى الوقاية والمفاجأة .

فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله (ص) يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين وعقد له لواء . وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر .

وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا معا جميعا ولا يختلفا (١) .

فلحق بعمرو فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمر : انما قدمت على مددا وأنا الأمير فأطاع له بذلك أبو عبيدة .

فكان عمرو يصلى بالناس حتى وطىء بلاد « بلى » ودوخها .

حتى أتى الى أقصى بلادهم وبلاد « عذرة » و « بلقين » . ولقى فى آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا .

---

(١) يعلم رسول الله (ص) أن شر ما يحيق بالجيش اختلاف قواده ، فاحتاط للأمر وأمر أن لا يختلفا واستمع له أبو عبيدة فسلم لعمرو بالقيادة حتى لا يكون ثمة خلاف ، وهذا يؤيد نظرية أن قائدا عاديا احسن من قائدين عظيمين .

فتح مكة

شرفها الله تعالى

وكانت فى شهر رمضان سنة ثمان .

وكان السبب فيها أن بنى بكر بن عبد مناف بن كنانة عدت على خزاعة [1]، وهم على ماء بأسفل مكة يقال لها : الوثير .

فخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة وكان ذلك ما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال :

يا رب انى ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه ألا تلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك نصرا اعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا

---

(١) كان بين بكر وخزاعة خلاف قديم ــ قبل الاسلام ــ فلما كان صلح الحديبية كان فيما شرطوا انه من احب ان يدخل فى عقد رسول الله (ص) وعهده فليدخل فيه ومن احب ان يدخل فى عقد قريش وعبدهم فليدخل ــ فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله (ص) . فلما اعتدت بكر على خزاعة استنجدت برسول الله (ص) .

فيهم رسول الله قد تجردا ... ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا ... ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لى فى كداء رصدا
زعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا
هن بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

يقول : قتلنا وقد أسلمنا .

فقال رسول الله (ص) نصرت يا عمرو بن سالم .

ثم عرض لرسول الله (ص) عنان من السماء فقال أية هذه السحابة لتنهل بنصر بنى كعب

وخرج بديل بن ورقاء فى نفر من بنى خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم .

ثم رجعوا الى مكة وقد قال رسول الله (ص) للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة [1] .

ومضى بديل بن ورقاء فى أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثته قريش الى رسول الله (ص) ليشد العقد ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا الذى صنعوه فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ — وظن أنه قد أتى النبى

(١) أى يمد فترة الهدنة .

(ص) . قال : سرت فى خزامة فى هذا الساحل وبعض هـذا الوادى . قال : أو ما جئت محمدا . قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى ؛ فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ، وأتى رسول الله (ص) فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (ص) فقال ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال : أنا أشفع لكم الى رسول الله (ص) فوالله لو لم أجـد الا الذم لجاهدتكم به ، فدخل على علىّ بن أبى طالب فقـال يا على : انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا . وأشفع لى الى رسول الله .

فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله (ص) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

قال : يا أبا الحسن انى أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى.

قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم واجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس انى قد أجرت بين الناس .

ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ .

قال : جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علىّ شيئا ، ثم جئت ابن أبي قحافة [1] فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى عدو . ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار علىّ بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنى شيئا أم لا .

قالوا : وبم أمرك ؟

قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت .

قالوا : فهل أجاز ذلك محمد قال لا .

قالوا : ويلك . والله ان زاد الرجل على أن لعب بك !

أمر رسول الله (ص) الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه [2] وأعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتجهز وقال :

اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها [3].

وخرج رسول الله (ص) بعشر مضين من شهر رمضان فى عشرة آلاف . وعميت الأخبار عن قريش فهم على وجل وارتقاب .

فلما نزل رسول الله نزلة عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشر آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب ، رقت نفس

---

(١) أبو بكر .

(٢) يعدوه للقتال

(٣) من مبادىء الحرب « المفاجأة » ، وهو هنا يريد أن يوقع بالعدو على حين غرة ، وفى عقر داره .

العباس[1] لأهل مكة قال : فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذى حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة[2] . فوالله انى لأسير عليها اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء [3] وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة ميزانا قط ولا عسكرا ، قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها [4] الحرب . فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة . فعرف صوتى فقال : أبو الفضل . قلت نعم . قال : مالك فداك أبى وأمى . قال قلت : والله هذا رسول الله فى الناس . واصباح قريش والله اذا دخل مكة عنوة ! . قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى . قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (ص) فأستأمنه لك . فركب خلفى ورجع صاحباه قال

(١) العباس بن عبد المطلب .

(٢) اى بالقوة .

(٣) كانا قد خرجا من مكة ومعهما حكيم بن حزام يستكشفان اخبار المسلمين .

(٤) اى أغضبتها وأهاجتها .

فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا رأوا بغلة رسول الله (ص) وأنا عليها قالوا عم رسول الله (ص) على بغلته حتى مررت بعمر بن الخطاب . قال من هذا وقام الىّ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله . الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله (ص) وركضت البغلة فسقت فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليه عمر قال يارسول الله هذا أبو سفيان فدعنى فلأضرب عنقه . قال فقلت : يارسول الله انى قد أجرته . ثم جلست الى رسول الله فأخذت برسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دونى . وأسلم أبو سفيان . وقال رسول الله (ص) .

« ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

ثم أمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، ففعل فمرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : ياعباس من هذه ، فأقول : سليم قال يقول مالى ولسليم . ثم تمر به القبيلة فيقول : ياعباس ما هؤلاء . فأقول : مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا سألنى عنها فاذا أخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان حتى مر به رسول الله (ص) فى كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار

لا يرى منهم الا الحدق من الحديد . قال سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟ قال قلت : هذا رسول الله (ص) فى المهاجرين والأنصار . قال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما .

قال قلت يا أبا سفيان انها النبوة . قال فنعم اذن .

قال قلت النجاء الى قومك . حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل ذلك المسجد فهو آمن .

فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم الامام الشافعى رحمه الله: ان مكة مؤمنة وليست عنوة . والأمان كالصلح . ورأى أن أهلها كانوا مالكى رباعهم فلذلك كان يجيز كراءها لأربابها وبيعها وشراءها لأن من أمن فقد حرم ماله ودمه وذريته وعياله . فمكة مؤمنة عند من قال بهذا القول .

وأكثر أهل العلم يرون أن فتح مكة عنوة لأنها انما أخذت بالخيل والركاب .

دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة

وستون صنما قد شد لهم أبليس أقدامها برصاص فجاء ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول :

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ولا خلاف أنه لم يجر فيها قسم ولا غنيمة ، ولا سبى من أهلها أحد لما عظم الله من حرمتها ألا ترى الى قوله (ص) مكة حرام محرم لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وانما حلت لى ساعة من نهار ثم هى حرام الى يوم القيامة .

وأمر رسول الله (ص) خالد بن الوليد فدخل من اللّيط[1] أسفل مكة فى بعض الناس فكان خالد على المجنبة اليمنى . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله (ص) ودخل رسول الله (ص) من « أذاخر » حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن جهل وسهيل بن عمر — وقيس بن خالد — قد جمعوا أناسا بالخندقة ليقاتلوا فلما لاقاهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من القتال ، وأصيب من المشركين قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ثم انهزموا . وفى هذا قال حماس بن قيس لامرأته :

انك لو شهدت يوم الخندقه اذ فر صفوان وفر عكرمه

(١) موضع بأسفل مكة .

واستقبلتنا بالسيوف المصلته يقطن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا تسمع الا غمغمه ليس نهيت حولنا وهمهمه
لم تتطق فى اللوم أدنى كلمه !

ولما نزل رسول الله (ص) مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن [1] فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان . فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة فقال :

لا اله الا الله وحده . لا شريك له . صدق الله وعده . ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده ثم تلا هذه الآية :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » [2].

---

(١) أداة كالعصا المعوجة .

(٢) الآية : ١٣ م الحجرات ٤٩ .

المعنى : يا ايها الناس لقد خلقكم الله متعددين فى النسب كلكم من آدم وحواء ونظمكم فى شعوب وقبائل لا لتختلفوا وتتحاربوا ولكن لتتعارفوا وتتحابوا فليس بنفسكم افضل من بعض الا بالعمل الصالح فاقربكم الى الله اكثركم تقوى لله وخشية له فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى .

وفى الحديث : يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد . لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى .

غزوة حنين

وهى غـــزوة هوازن

ولما سمعت هوازن برسول الله (ص) وما فتح الله عليه من مكة، جمع مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هـــلال وهم قليل . وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف .

فلما أجمع السير الى رسول الله (ص) حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وقال مالك: اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد. وبعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم قال : ويلكم ما شأنكم قالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق . والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى .

ولما سمع بهم نبى الله (ص) بعث اليهم عبد الله بن حـــدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (ص) وسمع من مالك ، وأمر

هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله (ص) فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسول الله (ص) السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا فأرسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق به عدونا غدا. فقال صفوان: أغصبا يامحمد؟ قال: بل عارية. وهى مضمونة حتى نؤديها اليك قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح. فزعموا أن رسول الله (ص) سأله أن يكفيهم حملها. ففعل ثم خرج رسول الله (ص) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفا.

ويروى عن جابر بن عبد الله قال: لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا وفى عملية الصبح، وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه وأضبابه ومضايقه. وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا. فوالله مارعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد [1] وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد وانحدر رسول الله (ص) ذات اليمين ثم قال: يا أيها الناس هلم الى. فانطلق الناس الا أنه قد بقى مع رسول الله (ص) نفر من المهاجرين وأهل بيته فلما انهزم الناس بعين المسلمين. تراصوا ثم كروا كرة

(١) وصف جيد لدقة الهجوم.

رجل واحد . فأشرف رسول الله (ص) فى ركائبه فنظر الى مجتلد القوم هم يجتلدون فقال : الآن حمى الوطيس [1] .

ولما انهزمت هوازن استمر القتل فى ثقيف من بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا . ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك ابن عوف . وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة .

---

(١) حدث فرار المسلمين ثم أعقبه رجوعهم بسرعة وقتالهم حتى كان الفتح نزلت« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا» .

كان المسلمون يوم حنين اثنى عشر ألفا مزودين بأحسن الدروع والسلاح ، وهو جيش كبير أكثر عددا وعدة من عدوه . فدخل فى نفوس القوم أن المهمة يسيرة وان هزيمة هوازن مؤكدة ـ وخاصة بعد فتح مكة وثبوت راية المسلمين ـ فلم يحفلوا ـ فى تقدمهم ـ بمبادىء الحرب وكان جديرا بهم أن يبعثوا العيون تكشف الطريق وتؤمن سلامة الجمع الكبير ، ولكن ساروا فى اطمئنان واذا بهم يفاجأون بالعدو الكامن فى الشعاب الآخذ بأسباب الدفاع والتخفى ، فكانت مفاجأة اضطربت لها الصفوف وطارت منها النفوس شعاعا .. فكانت الهزيمة ، لولا ان تدارك رسول الله (ص) الموقف فثبت ، وثبت أصحابه معه .. وكانت وقفة حالت دون انتهاء القتال ، حتى اذا زالت رهبة المفاجأة بدأ المسلمون يتجمعون لدرء الخطر ورد الهجوم ، واستماد المسلمون الموقف وقاموا بهجوم مضاد انخلعت له قلوب الكفار فأسلموا للفرار .

وتكشف معركة حنين عن دروس هامة فى الحرب :

(اولا) ان الجيش ليس بعدده وعدته وانما بمعنويات رجاله وبتطبيق اصول الحرب . ومنها الوقاية ، فالتقدم بغير مقدمة ـ اعتمادا على التفوق العددى ـ كانت نتيجته الوقوع فى المفاجأة !

وبعث رسول الله (ص) فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى بسهم فقتل فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى — وهو ابن عمه — فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم .

وقد قتل أبو عامر منهم تسعة مبارزة ثم برز العاشر معلما بعمامة صفراء فضرب أبا عامر فقتله .

واستمر القتل فى بنى نصر بن معاوية ثم فى بنى رئاب . ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا حتى مضى صدقاء أصحابه وتقام آخرهم ثم هرب .

وكان السبى ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربع آلاف أوقية فضة .

وقدم وفد هوازن على رسول الله (ص) وهم أربعة عشر رجلا

= (ثانيا) أهمية الروح المعنوية . فثبات فريق من الجيش عند الهزيمة منع النهاية وحال دون الانحدار . وبثبات هذا الفريق امكن صد العدو واعطاء الفرصة لباقى الجيش لمعاودة القتال .

(ثالثا) شدة وقع المفاجأة — وهى من مبادىء الحرب التى ينبغى توخيها — فعندما توخى المسلمون بخصومهم يخرجون من مخابئهم ويهجمون على حين غرة جعل الرماة يفتك منهم فيفرون هناك وهناك مضطربين مساوبى الارادة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ! وولوا مدبرين ! .

فسألوه أن يمن عليهم بالسبى ومما قيل فى ذلك شعرا — وهو لزهير بن صرد الجشمى :

آمنن علينا رسول الله فى كرم	فانك المرء نرجوه ونتنظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر	فشتت شملها فى دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها	يأرجح الناس حلما حين يختبر

ونزلت فى حنين :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » [1].

غزوة الطائف

فى شوال سنة ثمان خرج رسول الله (ص) من حنين يريد الطائف وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ، وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة . فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال .

---

(١) الآيتان ٢٥ ، ٢٦ م التوبة ٩ .

وسار رسول الله (ص) فنزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب من المسلمين ناس بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فارتحل رسول الله (ص) الى موضع (مسجد الطائف) اليوم فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ، ونصب عليهم (المنجنيق) وهو أول ما رمى به فى الاسلام .

قال ابن أسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله (ص) تحت دبابة[1] ثم رجعوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف « سكك الحديد » محماة بالنار . فخرجوا من تحت الدبابة فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا . فأمر رسول الله (ص) بقطع « أعناب » ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون .

ونادى منادى رسول الله (ص) : ايما عبد نزل الينا من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فعتقهم رسول الله (ص) فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة .

واستشار رسول الله (ص) نوفل بن معاوية الديلى فقال

(١) مركبة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن ليثقبوه .

ما ترى . فقال : « ثعلب فى حجر ان أقمت عليه أخذته وان تركته لم يضرك » .

فأمر رسول الله (ص) عمر بن الخطاب فأذن فى الناس بالرحيل. فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح عليها الطائف فقال رسول الله (ص) فأغدوا على القتال . فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال رسول الله (ص) انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وازغنوا وجعلوا يرحلون .

وقال لهم رسول الله (ص) قولوا لا اله الا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

فلما ارتحلوا واستقلوا قال : قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

وقيل يارسول الله ادع الله على ثقيف . قال :

اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين .

غزوة تبوك

فى شهر رجب سنة تسع

توجه رسول الله (ص) لغزو الروم وكان ذلك فى زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد وحين طابت الثمار فالناس يحبون المقام

فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه .

وكان رسول الله (ص) قلما يخرج فى غزوة الاكنى عنها ووري بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك ، لبعد الشقة وشدة الزمان .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر .

فأنزل الله فيهم :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)[1].

وجدّ رسول الله فى سفره وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا .

وبلغ رسول الله (ص) ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام . وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة .

---

(١) الآية : ٨١ من التوبة ٩ .

المعنى : ان حب السلم والرغبة عن الجهاد والكسل نال من نفوس بعض المسلمين حتى حبب اليهم القعود ، فقال بعضهم لبعض لا تقوم للحرب فى هذا الجو الحار وهم لا يعلمون ما يكون نصيبهم من حر جهنم ان هم صدوا عن طريق الله والجهاد فى سبيله بأموالهم وانفسهم .

وسار رسول الله (ص) فى ثلاثين ألفا من الناس والخيل عشرة آلاف فرس ونزل تبوك فى زمان قل ماؤها وأتاه يحنه بن رؤبة صاحب ايلة فأعطوه الجزية وكتب لهم رسول الله (ص) كتابا وهو عندهم وكتب للجنة بالمصالحة .

بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد
الى أكيدر دومة

بعث رسول الله (ص) خالدا فى أربعمائة وعشرين فارسا سرية الى أكيدر دومة فى رجب سنة تسع بدومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

وقال له رسول الله (ص) انك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة مقمرة صائفة وجده ونفرا من أهل بيته يركبون الخيل فى مطارد البقر فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله (ص) فأخذته وقتلوا أخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب . فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله (ص) قبل قدومه عليه . وفيه قال عليه السلام : لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا .

ثم ان خالدا قدم بأكيدر على رسول الله (ص) فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته .

ذكر الحوادث جملة بعد قدوم رسول الله (ص) المدينة

فى السنة الأولى :

بعث حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش فى رمضان .

وبعث عبيدة بن الحارث فى ستين رجلا من المهاجرين الى بطن رابغ .

وبعث سعد بن أبى وقاص الى الخرار فى ذى القعدة فى عشرين من المهاجرين لعير قريش . وغزوة الأبواء . وغزوة ودان فى صفر .

فى السنة الثانية :

غزوة بواط . وغزوة ذى العشيرة . وسرية عبد الله بن جحش الى نخلة . وغزوة بدر الكبرى . وسرية عمير بن عدى . وسرية سالم ابن عمير . وغزوة بنى قينقاع : وغزوة السويق . وغزوة كركرة الكدر .

فى السنة الثالثة :

السرية لكعب بن الأشرف . وغزوة غطفان . وغزوة بنى سليم .

obeikandl.com

وسرية زيد بن حارثة الى القردة . وغزوة أحد . وغزوة حمراء الأسد . وسرية أبى سلمة الى قطن . وسرية عبد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد بعرفة . وبئر معونة . والرجيع :

فى السنة الرابعة :

غزوة بنى النضير . وبدر الموعد . وذات الرقاع .

فى السنة الخامسة :

غزوة دومة الجندل . وغزوة المريسيع . وغزوة الخندق . وبنى قريظة .

فى السنة السادسة :

غزوة بنى لحيان . وغزوة الغابة . وسرية عكاشة الى الغمر . ومحمد بن مسلمة الى ذى القصة وبعث أبا عبيدة . وسرية زيد ابن حارثة الى بنى سليم وسريته الى العيص وسريته الى الطرف وسريته الى حسمى . وسريته الى وادى القرى . وسريته الى أم قرفة . وسرية ابن عوف الى دومة الجندل . وعلى الى بنى سعد ابن بكر . وابن عتيك الى ابن رافع . وسرية عمرو بن أمية الضمرى وسلمة بن أسلم لقتل أبى سفيان بمكة . وعمرة الحديبية وبيعة الرضوان .

فى السنة السابعة :

غزوة خيبر . وسرية عمر الى تربة . وسرية أبى بكر الى كلاب

أو غزازة . وبشير بن سعد الى بنى مرة . وبشير بن سعد الى يمن. وسرية ابن أبى العوجاء الى بنى سليم . وسرية غالب الى بنى الملوح . وسريته الى مذك .

فى السنة الثامنة :

سرية شجاع بن وهب الى بنى عامر . وكعب بن عمرو الى ذات أطلاح غزوة مؤته . سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل . وسرية الخبط وسرية بن قتادة الى خضرة ثم الى بطن اضم غزوة الفتح . سرية خالد بن الوليد الى القرى . وعمرو بن أبى سواع . وسعد بن زيد الاشهلى الى مناة فى رمضان . سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة . غزوة حنين . سرية الطفيل بن عمرو الى ذى الكفين. غزوة الطائف . سرية عينية بن حصن الى بنى تميم . سرية قطبة بن عامر الى خثعم . بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق .

فى السنة التاسعة :

سرية الضحاك الى بنى كلاب . وغزوة تبوك . وخالد الى أكيدر دومة .

فى السنة العاشرة :

سرية خالد بن الوليد الى بنى عبد المذن بنجران .

حراس رسول الله (ص) :

حرسه يوم بدر حين نام فى العريش سعد بن معاذ . ويوم أحد :

محمد بن مسلمة . ويوم الخندق : الزبير بن العوام . وفى خيبر : أبو أيوب الأنصارى . وبوادى القرى : بلال وسعد بن أبى وقاص وذكوان بن عبد قيس .

العشرة من أصحابه :

١ — أبو بكر .

٢ — عمر .

٣ — عثمان .

٤ — على .

٥ — طلحة .

٦ — الزبير .

٧ — سعد بن أبى وقاص .

٨ — سعيد بن زيد .

٩ — عبد الرحمن بن عوف .

١٠ — أبو عبيدة عامر بن الجراح .

obeikandl.com

الفهرست

ص

فكرة الكتاب ٧

أصل المخطوط ١٧

جماع أبواب المغازى ٢٠

سرية عبد الله بن جحش ٢٩

غزوة بدر الكبرى ٣٤

غزوة أحد ٥٧

غزوة بنى النضير ٨٥

غزوة الخندق ٩٣

غزوة بنى قريظة ١٠٥

غزوة الحديبية ١٢٠

فتح مكة ١٣٣

غزوة حنين ١٤٢

ذكر الحوادث جملة ١٥١

obeikandl.com

من كتب المؤلف

القيادة والقادة العظام : أسلوب واضح البلاغة أنيق الصياغة مع قوة فى العرض وبراعة فى الاداء

الرئيس جمال عبد الناصر

مع العسكريين : ولست أشك فى أن القراء سيحصلون منه فائدة ويستشعرون أثرا حميدا

كمال الدين حسين
وزير التربية والتعليم

قادة الحرب العرب : صورة حية من البطولة الاسلامية ، ومثلا عالية للفدائية الاسلامية

أنور السادات
سكرتير المؤتمر الاسلامى

شوقى والمتنبى : ثروة جديدة فى حصيلتنا الفكرية تؤكد طاقاتنا وتدفعنا الى التقدم

ثروت عكاشة
وزير الثقافة والارشاد القومى

ابطال مصر والعالم : يسعدنى أن أقدم هذه الباقة المشرفة من الابطال للأمة العربية .

محمد توفيق عبد الفتاح
وزير الشئون الاجتماعية والعمل

و

جيشنا فى فلسطين	العالم بعد الهدنة	أبطال العالم فى الملاكمة
الدفاع عن الوطن	فى شمال أفريقيا	الرياضة فى بلادنا
قاهر العالم تيمور لنك	الهجوم على أوربا	حرب الصحراء المصرية
حروب محمد على	هذه هى الحرب	أحاديث فى الحرب

obeikandl.com